وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية
شعبة: التاريخ

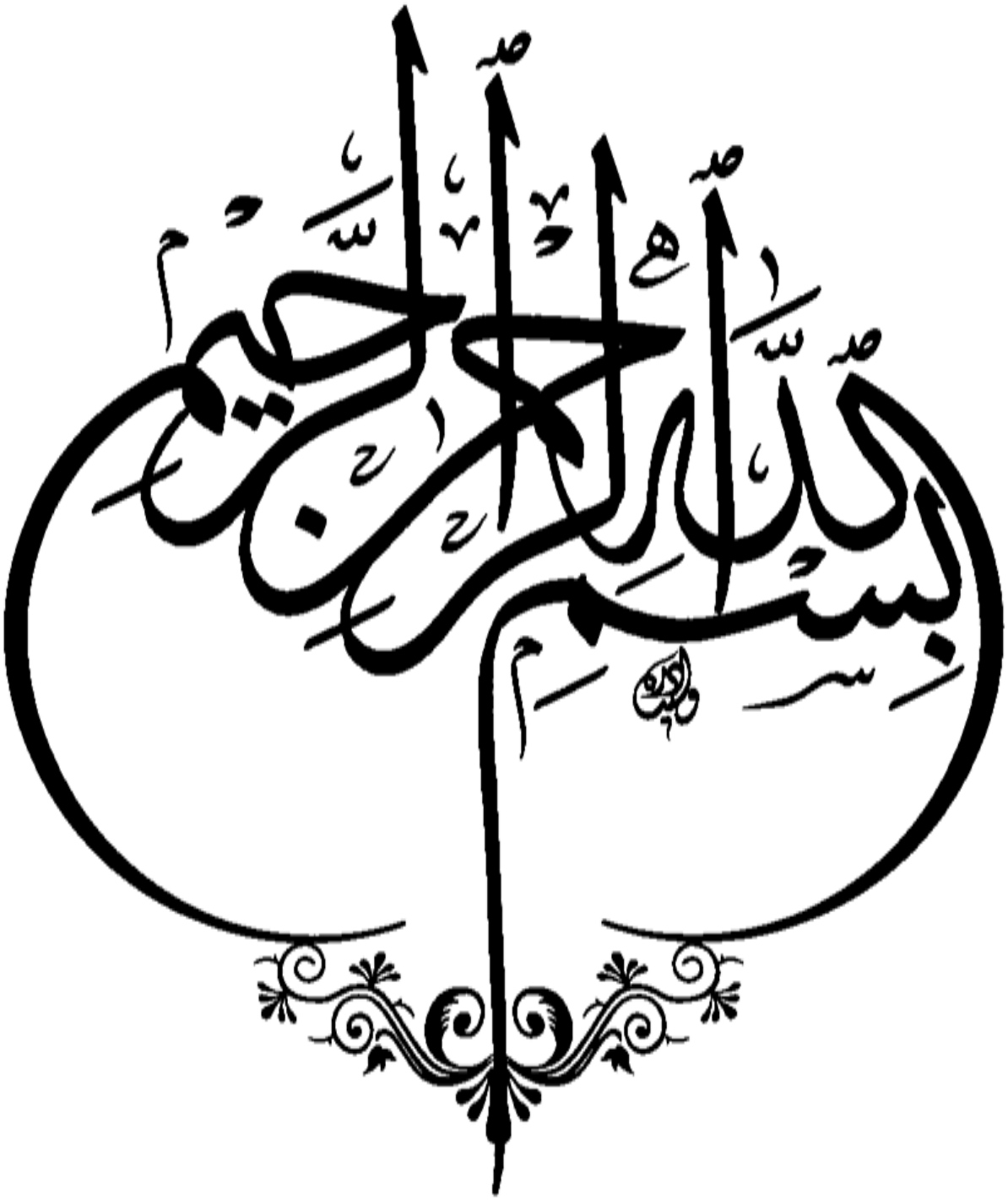
الإصلاحات العثمانية في تونس من خلال كتاب إتحاف أهل الزمان لأحمد ابن أبي الضياف

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الدولة العثمانية

إعداد الطالبتين:
- رحموني شهيناز
- دحماني سهام

إشراف الأستاذ:
- محمد بوطيبي

السنة الجامعية:1442-1443هـ/2021-2022م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} سورة إبراهيم، الآية 07.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { من لا شكر الناس لا يشكر الله}.

نحمد الله ونشكره على ما رزقنا من دعم وتوفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع.

وأول من يستحق الشكر والعرفان أستاذنا المحترم "بوطيبي محمد" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته التي بذلها معنا من أجل إنجاز هذا البحث المتواضع.

كما نتقدم وبالشكر والتقدير والعرفان للأستاذ "سعيد فرج" وإلى كل من قدم لنا يد العون.

وكذلك أساتذة التاريخ بجامعة المدية وكل من ساعدنا في إتمام هذا البحث.

ونسأل الله التوفيق والنجاح.

3DLAT.COM

الاهداء

اللهم لك الحمد قبل أن ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، نحمد الله عزوجل أنه وقفنا إلى إنجاز هذا العمل المتواضع.

إلى قرة عيني من جعلت الجنة تحت أقدامها إلى التي حرمت نفسها وأعطتني، ونبع حنانها سقتني،

إلى من وهبتني الحياة أمي الحبيبة نور عيني حفظها الله

إلى من يزيدني انتسابي له وذكره فخرا واعتزاز

وإلى من سهر الليالي من أجل تربيتي وتعليمي، وجعلني

أكبرفي أزكى و أطهر فضيلة أبي العزيز

إلى اخوتي الأعزاء خاصة سندي مصطفي

إلى رفيقة دربي شهيناز رحموني

وإلى أعز صديقاتي هدى ومليكة

إلى شريك أيامي من فرح قلبه بنجاحي زوجي محمد

3DLAT.COM

الاهداء

إلهي لا يطيب الليل الا بشكرك ولا يطيب النهار الا بطاعتك ، ولا تطيب اللحظات الا بذكرك ، ولا تطيب الآخرة الا بعونك ولا تطيب الجنة الا برؤيتك الله الله جل جلالك .

الى من بلغ الرسالة وادى الامانة ، ونصح الامة ، الى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله على وسلم .

إلى مثالي وقدوتي في الحياة والى رمز الرجولة والوقار والعطاء الى من علمني ان الحياة كفاح الى من ضحى بماله ونفسه واحلامه وراحته من اجل ان يحقق احلامي من كشف عني ستار الجهل بشعاع النجاح الى من زرع بذور العلم في نفسي وجعلني حاملة لشعار العلم والعزة الى صاحب القلب الطبيب ابي العزيز .عمر رحموني .

إلى خفقت قلبي التي اعيش بها واشراقة حياتي الى من حملتني وتحملت كل عناء الى من ارشحها اميرة النساء الى من كانت البلسم والدواء التي لا تتوقف قلبها عن الدعوات والتي عدت الايام والسنين وترقبت ساعة الوصول لرؤية ثمرة نجاحي أمي الحبيبة : جميلة رزقي.

إلى من قاسموني دفئ العائلة وشاركوني رحم امي ، اخي واخواتي حفظهم الله .

إلى كل عائلة رزقي ورحموني حفظهم الله ورعاهم .

إلى صديقاتي وحبيباتي هدى سهام مليكة متمنية لهم النجاح والتوفيق في حياتهم .

إلى كل من أحبني وتمنى لي النجاح .

شهيناز رحموني .

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
مج	مجلد
ج	جزء
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
تق	تقديم
ص	صفحة
ط	طبعة

المقدمـــة

المقدمة:

بدأت سيطرت الدولة العثمانية على تونس منذ عام 1574، حيث كان اخر عام لحكم الحفصين في تونس، فتحولت افريقيا الشمالية الي ولاية من ولايات الدولة العثمانية، ومنذ عام 1590م، بدا اتراك يحكمون تونس بواسطة "الداي" من (1598 الي 1630) والباي من(1631 إلى 1702)، وبعد ثلاث سنوات سيطر الباي حسين على السلطة،أسس الأسرة مالكة عرفت بالأسرة الحسينية التي ظلت تتوارث السلطة حتي استقلال تونس عام 1956م.

كما عرف القرن 19 تغيرات مست مختلف المجالات بعد قرن عصيبا بمقارنته بغيره من القرون، حيث تظافرت جهود البايات لإصلاح أحوال البلاد وذلك تأثر بالإصلاحات العثمانية فنجد بعض المؤرخين جاء في كتبهم ما يكفي لتصوير الوضع العام المتردي بالإيالة التونسية، وفي صدارة هؤلاء نجد أحمد بن أبي الضياف اذا يعتبر خير شاهد على تلك الدبلوماسية لمعايشته لأحداثها، كيف لا وقد امتدت حياته ثلاثة الأرباع الأولي من القرن 19، فقد اطلع على خفايا أمورها داخل بلاطات البايات، الذين عمل تحت إمرتهم فخاض غمار الأحداث مباشرة، وكانت جميع الوثائق المفيدة من مراسلات وتقارير وغيرها تحت تصرفه ليصدر كتابه الشهير" إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الزمان" وهو موضع بحثنا الذي يتحدث عن الإصلاحات العثمانية في تونس من خلال هذا المؤلف.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

التعرف على المؤرخ أحمد بن أبي الضياف ونظرته حول الإصلاحات في تونس.

الرغبة في الإطلاع على تاريخ تونس الحديث.

التعرف على الإصلاحات السياسية والعسكرية واقتصادية في تونس.

التعرف على محتوي كتاب إتحاف أهل الزمان.

- **أهمية الدراسة:**

تكمن في كون كتاب إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان الذي يعد المرآة العاكسة لأوضاع تونس كيف لا وقد عايش تلك الأحداث.

تكمن في التعرف عل ى أوضاع تونس خلال الفترة الحسينية والتي كانت فترة مليئة بالأحداث في جميع المجالات.

- **الإشكالية:**

فيما يتجلى اثر الإصلاحات العثمانية علي الإصلاحات في تونس من خلال كتا ب أتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان؟

وللإجابة على هذه الإشكالية استوجب علينا طرح الأسئلة التالية:

. كيف كان الوضع في البلاد التونسية في مختلف المجالات في القرن 19م؟.

. فيما تمثلت المجالات التي شملتها الإصلاحات في تونس؟

- **الدراسات السابقة:**

اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من الدراسات السابقة أهمها:

سرهام شايبي، الفكر الإصلاحي لخير الدين التونسي نموذج، مذكرة لنيل الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر.

. كوثر العايب، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711- 1830)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ الحديث المعاصر.

. بن سليمان فاطمة، الايالة التونسية في القرنيين السادس عشرو التاسع عشر، مذكرة دكتوراه اشراف هنية عبد الحميد العلوم الإنسانية بجامعة تونس الاولي، تونس 2005-2006.

- **المنهج المتبع:**

للوصول الي نتائج كان لابد من اعتماد علي المنهج الوصفي التاريخي من خلال سرد لبعض الاحداث التاريخية.

- **تقسيمات الموضوع:**

للإجابة علي التساؤلات التي طرحناها، استوجب علينا تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحث تمهيدي وثلاث مباحث وخاتمة، ثم ذيلته بملاحق وفهرس.

كان المبحث التمهيدي بعنوان : الوضع العام في البلاد التونسية خلال الفترة الحسينية وقد تضمن عنصرين: أولهما الأوضاع السياسية واقتصادية وتضمن عنصر الثاني: الأوضاع الاجتماعية والثقافية، كما كان المبحث الأول بعنوان: ابن أبي الضياف، واندرج تحته ثلاثة عناصر هي: مولده ونشأته ووظائفه، وثقافته وشيوخه، ووفاته واثاره، اما العنصر الثاني بعنوان دراسة كتاب إتحاف أهل الزمان، وانضوت تحته ثلاث عناصر العنصر الأول: التعريف بكتاب اتحاف اهل الزمان، والثاني: منهج ابن ابي الضياف في كتابه، والثالث: مصادر كتاب ابن ابي الضياف وابرزت في المبحث الثاني الإصلاحات في الميدان السياسي وقد وضحت فيه إصلاحات في عهد خير الدين باشا واصلاحات في

عهد حمودة باشا، اما العنصر الثاني تحت عنوان : إصلاحات في الميدان العسكري، اما فيما يخص المبحث الثالث الذي حاولت التعرف من خلاله على إصلاحات اجتماعية واقتصادية فقد تناولت فيه: إصلاحات في الميدان الاجتماعي وسلطت الضوء علي ثلاث عناصر مهمة وهي: التعليم وإصلاح القضاء والاوقاف وحقوق الانسان والمواطنة، كما تناولت الإصلاحات في الميدان الاقتصادي وذكرت اهم العناصر وهي الزراعة، الصناعة، التجارة.

- **أهم المصادر والمراجع:**

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع، كان في مقدمتها كتاب إتحاف أهل الزمان محل الدراسة، بأجزائه الثمانية لصاحبه أحمد بن أبي الضياف الذي كان اعتمادنا عليه من خلال استنباط الإصلاحات العثمانية في تونس في مختلف المجالات الا اننا حاولنا استعمال الكثير من المصادر لتأكيد معلوماتنا ومن بين هذه المصادر نذكر: ذيل أقدم ترجمة لابن أبي الضياف لمحمد السنوسي لتعرف على شخصية ابن أبي الضياف، واستعن ا بصفوة الإعتبار بمستودع الأمصار لمحمد ب يم الخامس التونسي، هو الاخر لتعرف على ابن أبي الضياف وتضمن أيضا معلومات حول الحالة الإقتصاديةللبلاد التونسية، كما استعنا بالشجرة الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف اعتمد عليه لتعريف بالشخصيات المتداولة في هذا الموضوع، اما في ما يتعلق بالمراجع فقد استعن ا بكتاب أعلام تونسيون لصادق الزمرلي وأيضا تراجم المؤلفين لمحمد محفوظ وذلك لترجمته الشخصيات وأيضا استند نا على كتاب مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية لأحمد عبد السلام.

ولابد أن نعتذر عن أي نقص أو خطأ اعترض موضوعنا، رغم محاولتنا إلمام بالموضوع في مختلف جوانبه فإن أصبنا فمن الله وحده وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

- **صعوبات الدراسة:**

من بين الصعوبات التي واجهتنا هي: صعوبة الحصول على أهم الكتب لكونها ورقية في المكتبة التونسية، بالإضافة الى صعوبة توظيف كل القضايا التي عالجها الموضوع بسبب تراكم المعلومات إلا أننا حاولنا توظيف أهم المعلومات التي تخدم الموضوع وأيضا قلة المراجع والدراسات الاكاديمية المتخصصة في الموضوع حسب اطلاعنا.

المبحث التمهيدي:

الوضع العام في البلاد التونسية خلال الفترة الحسينية.

- **المطلب الأول: الأوضاع السياسية و الاقتصادية**
- **المطلب الثني : الأوضاع الاجتماعية و الثقافية.**

المبحث التمهيدي: الوضع العام في البلاد التونسية خلال الفترة الحسينية.

انبعثت فكرة الإصلاح في البلاد التونسية خلال القرن 19، نتيجة عدة عوامل داخلية وخارجية متدهورة كانت تعيشها تونس في هذا القرن، لذلك قامو ابايات تونس بجهود جبارة لتحقيق الأمن والاستقرار من خلال الاصلاحات التي اتبعوها ل نهوض بالبلاد التونسية وذلك بفضل أفكار روادها المصلحينالسياسيين وتبقى التساؤلات المطروحة حول أحوال تونس خلال هذا القرن؟ وما مدى مساهمة الاصلاحات في شتى الميادين بال نهوض بالإيالة التونسية؟

المطلب الأول :الأوضاع السياسية والاقتصادية.

1-الوضع السياسي:

دخل العثمانيون تونس عام 981 هـ/1574م، وأنهوا حكم الأسرة الحفصية ، كما طردوا الإسبان الذين استنجدوا بهم لآخر الحكام الحفصيين، ووضع القائد العثماني سنان باشا نظاما للحكم في تونس، يقوم على وال يمثل السلطان برتبة "باشا" وهو رجل مدني يساعده مجلس استشاري يتألف من عدة ضباط وموظف يشرف على الشؤون المالية [1]يلقب "بالباي"[2]لتبرز سلطته وتتغلب على حكم الداي، وكان الحكم يتداول بين الذكور وحسب

[1]- محمودي شاكر، **التاريخ الإسلامي، التاريخ المعاصر بلاد المغرب**، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 121.

[2]- الباي: معرب من لفظ بك في التركية ،ومعناه السيد ،وهو أول الألقاب الملكية الحسينية ،حيث أصل دخول هذا اللفظ في الاستعمال بتونس كان بأثر دخول الإيالة التونسية في طاعة السلطان سليم. خان الثاني عام 1573، محمد بن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تج: حمادي الساحلي، الجيلالي بن الحاج يحي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 57.

كبر السن ضمن سلالة حسين بن علي [1] مؤسس الدولة الحسينية، فقد كانت تبعيته شكليا للباب العالي،كان الباي في حقيقة الأمر مستقلا، فهو يجمع السلطتين التشريعية والتنفيذية وبإمكانه النظر في مختلف القضايا العدلية، وتعتبر قرارات والمراسيم التي تصدر عنه قانونا نافذ المفعول ورغم ما يتمتع به الباي من نفوذ مطلق فإن السلطة الفعلية كانت بين يدي الوزير الأكبر الذي يباشر تسيير الشؤون المالية والخارجية للإيالة، يساعده في الإدارة العامة للبلاد وزير الداخلية يسمى وزير القلم ،إلى جانب وزير الحرب ووزير البحرية[2].

أخذت سلطة الباي في النمو والظهور وأخذت سلطة الداي في التراجع بتغلب الأولى على الثانية، بعدها رسخت قدم البيت الحسيني في الإمارة، فكان حبهم ممتزنا في القلوب وسلطانهم باسط جناحيه على كامل التراب التونسي، وأول من تولى الأمر هو حسين باي بن علي تركي في سنة (1705م-1117 هـ) ثمتولى احفاده الحكم على النحو التالي:

- للأخ المولى علي باي الأول بن محمد ابن علي تركي في سنة (1148 هـ - 1735)
- المولى محمد الرشيد باي بن حسين بن علي في سنة (1169 هـ - 1756م)
- ثم أخوه المولى علي باي الثاني في سنة (1172 هـ - 1781 م) ثم أبنه
- المولى حمودة باي سنة (1196 هـ - 1782 م) ثم أخوه
- المولى عثمان باي في سنة (1221 - 1814 م) ثم ابن عمه:

[1]- حسين بن علي: لم يكن تركيا ولا تونسيا بل من جزيرة كندية في شرق البحر الأبيض المتوسط ارتبط بالجيش في عهد المراديين، عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب عصر الإمبراطورية** ، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 351.

[2]- علي المحجوبي، **ما يجب أن تعرف عن انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، سراس لنشر، تونس، 1986، ص 8.

- المولى محمود باي ابن محمد الرشيد باي في سنة (1230 هـ - 1814م)

- ثم انه المولى حسين باي الثاني في سنة (1239 هـ-1824 م) ثم أخوه

- المولى مصطفى باي في سنة (1251 هـ - 1835م) ثم ابنه المولى أحمد باي الأول في سنة (1253 - 1837) وغيرهم من الباايات.[1]

شهدت الدولة الحسنية ازدهارا في حياتها السياسية والاقتصادية لكن سرعان ما بدأت تتراجع وتتقهقر فقد كان القرن 19 علامة تشهد على التغيير الحاصل في ميزان القوى بينهما وبين الدول الأوروبية التي كانت في أوج قوتها وفي طريق توسعها [2].وذلك بفضل عودة الأمن وما وفرته الثورة الصناعية من قوى اقتصادية وعسكرية وسياسية وفكرية [3] فقد كانت كارثة بالنسبة للبلاد التونسية، وخاصة بعد أن بدأت تمنح امتيازات لدول الاوربية هذا ما دل على ضعف بايات تونس ،بحيث لم يعد يسمع له م قول ولا تلتمس منه م مشورة[4]،كما عرفت الأوضاع الداخلية فوضى في الجانبين الإداري والسياسي ويصف أحمد أمين الحالة السياسية في تونس فيقول :"إدارة البلاد فوضى أي فوضى الحاكم حاكم بأمره، وأحب الناس إليه من يجمع له المال من حله وحرامه ولا ضبط في الدخل ولا خرج

2-محمد بن الخوجة،المرجع السابق ،ص 58.

[2]- محمد الهادي الشريف، **تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع: محمد شاوش، محمد عجينة، ط 3، دار سواس لنشر، تونس، 1993، ص 95 .

[3]- نفسه، ص 96.

[4]- جان غانياج ،**ثورة علي بن عداهم 1864**،تر:.من كتاب الدولة للشؤون الثقافية، دار التونسية للنشر، 1965 ص 11.

والعدل والظلم متروكا للمصادفات"[1]. وحدث الخلل والنقصان في هذه الايالة لا سبب لذلك إلا الملك المطلق وتقديم الشهوة والغرض على الواجب المفترض[2].

كانت تبعية الباي للدولة العثمانية ضعيفة فاكتف ى بذكر اسم السلطان في خطب يوم الجمعة ،وفي حالة الحرب تقدم المساعدة الحربية للباب العالي ،كما حدث في حرب القرم وقد قال خير الدين وهو على فراش مرضه :"ان الدولة العلية لها حقوق علينا باعتبار العادة ان نوجه مراكبنا لإعانة أسطولها إذا وقع لها حرب ووقع لنا تعطيل عن إرسال شقوقنا بسببه قنصل الفرنسيين بكلار كما تعلمون، ولنا بفضلها حقوق باعتبار عاداتنا، والمسارعة لحقوقها الثانية تقوية لحقوقنا المبنية على محض الفضل، ورأيت أن لا نقتصر على العادة السابقة بل نزيد على ما فعله سلفي بأن نوجه عسكرا بسائر ما يلزمه [3].

لقد شعرت البلادالتونسية في هذه المرحلة من الضعف والتقهقر بضرورة الإصلاح، فوجدت أن هذه العملية ستكلفها الأموال و النفقات بالاستدانة وهذه الأموال ستزيد من نفوذ الأجانب في البلاد ،فباشرت في الإصلاح وأدى هذا الأمر إلى خضوعها للنفوذ الأجنبي[4]

مما سبق يمكن أن تقول أن الأوضاع السياسية في الأسرة الحسينية في تونس تميزت بالضعف والانحلال الذي كان واضحا في سياسة البايات التي انتهجوها.

---

[1]– سمير أبو حمدان ، **خير الدين التونسي أبو النهضة التونسية،** شركة العالمية للكتاب العالمي، بيروت، 1993، ص 19.

[2]– ابن أبي الضياف، **اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان،** م2، ج4، تح من وزارة الشؤون الثقافية، دار العربية للكتاب، ص 48.

[3]– ابن أبي الضياف، نفسه، مج 2،ج4،ص 156.

[4]– جلال يحي ،**المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث،** دار المعارف بمصر، 1965، ص 242.

2-الوضع الاقتصادي:

لقد عرف المجتمع التونسي صناعات تقليدية تستمد خاماتها الأولية من الإنتاج الزراعي والحيواني وهذا بفضل براعة الأسر التونسية في إنشاء صناعة يفيدها في حياتها اليومية هذه الخيرات وكلها يعتمد عليها الباياتالحسينين في قطاع التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية من أجل الصعود بالبلاد[1].

لكن تونس بقيت متأخرة في الصناعة حتى أن أغلب ثياب اهلها شعارا دثارا، كما أنه أصبح الخارج من مصنوعاتها قليل كالشاشية وموادها والنسيج ،[2] كما عرفت المنتجات التي تصدرها البلاد التونسية انخفاضا كبيرا ما أدى إلى ارتفاع الواردات بالإضافة إلى حدوث خلل هام في المجال التجاري، و. نزيفنقدي، وتخفيض في العملة المحلية وصعوبات تعاني منها خزينة الباليك والطبقات المسيرة[3]. وقد ثقلت الأعشار على منتحلي الفلاحة، وكادت أن تخلو منها الساحة لتجاوزها حدود المغارم تجاوزا واضحا وفضيعا، حتى أن الفلاح في سنة الجدب "قلة المطر" يبيع المواشي والآلات الفلاحية ،ولا يكاد يخلص في مغرمها المسمى بالعشر، لا سيما أن الأرض عشرية غير مأمونة الري، حتى كاد أحمد باي [4] يشتري القمح والشعير في أواخر مدته من خارج المملكة لعساكره ولهذا شغف بالفلاحة بحيث قال لوزرائه :"أن أكثر عسكرنا الآن مسرح وأي داع لنا في الزيادة

---

[1]- بوتوقوماس حفيظة ، **النشاط التجاري للمجتمع التونسي خلال العهد الحسيني (1117 – 1246هـ) (1705 – 1830)** ، الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ،ص 291.

[2]- أحمد ابن أبي الضياف، المصر السابق،مج2،ج4، ص 224.

[3]- محمد الهادي الشريف، ، المرجع السابق، ص 96.

[4]- أحمد باي: ولد في سنة 1221 هـ – 1806 م وأمه جارية من سبي سنبيرة ، اعتنى أبوه بتربيته وتهذيبه بويع في رجب 1253 – 1837 أثر وفاة أبيه.ينظر: ابن أبي الضياف، المصدر نفسه، ص 11.

على ما يلزمنا لهناء مملكتنا من العسكر وقد نقص منه في الوجهة إلى الدولة العلية وبقاؤنا على هذه الحالة يفضي إلى موت المملكة[1].

أما على الصعيد الداخلي فإن انفتاح البلاد للمنتوجات وأفكار والتجار ثم للماليين الأوروبيين قد نتجت عنه صعوبات مالية لا قدرة على مواجهتها للدولة أو لطائفة السياسيين التي حرمت علاوة على ذلك مما كان يوفره لها الجهاد البحري في السابق من موارد خارجية وحرمت أكثر مما كان يوفره لها تصدير منتوجات البلاد، فزاد الحكام من أثقل كاهل الرعايا بالضرائب، وكانوا بالإضافة إلى ذلك تحت رحمة الكوارث الطبيعية واضطرابات النقدية والفوضى السياسية التي أخذت تحل بالبلاد شيئا فشيئا، كما أن هناك أعيان احتموا بقنصليات أوروبية حتى يفلتوا من مصادرة الباي لأموالهم وسرعان ما استدانت الدولة من السوق العالمية ،وكان اورلنجي ERLANGER ذلك المغامر في الأمور المالية وزادت الأزمة الدامية الطين بلة، فسارع ذلك بالبايلك إلى هاوية الإفلاس فوضعت أمواله تحت وصاية اللجنة المالية التي تأسست سنة 1869[2].

قدرت ديون البلاد التونسية آنذاك بـ 125000000 (مائة وخمسة وعشرون مليون فرنك ووقع تقسيم مداخيل الأيالة إلى قسمين خصص الأول إلى نفقات الدولة والثاني لتسديد الديون[3].

ومما سبق ذكره يمكننا القول أن المتضرر الوحيد من هذه الأزمة المالية والاقتصادية في البلاد التونسية هو الشعب والتي كانت نتيجة سوء التصرف من طرف الباياتالتونسيين

[1]– ابن أبي الضياف، نفسه،مج2،ج4،224.

[2]– محمد الهادي شريف، المرجع السابق، ص 98

[3]– علي محجوبي، المرجع السابق، ص 9

ولجوئهم إلى الاستدانة من الدول الاوروبية وهذا أزم الوضعية الاجتماعية في البلاد بسبب اثقال كاهل الرعية بالضرائب.

المطلب الثاني :الاوضاع الاجتماعية والثقافية.

ان تراجع اقتصاد اي بلد يأثر بطريقة مباشرة على الحالة الاجتماعية والثقافية فيؤدي إلى تراجعها وهذا ينطبق على البلاد التونسية.

لقد كان سكان تونس يتوزعون بين المدينة والريف والصحراء، أما عددهم الإجمالي فلم يتجاوز المليون ونصف المليون نسمة، وفي حين كان سكان المدن يقتصرون في معاشهم على الحرف البسيطة وعلى التجارة، أما سكان الريف مزارعين وفلاحين ويعشون في عزلة تامة عما يدور خارج قراهم أما أدوات عملهم وزراعتهم فكانت شبيه تلك المستخدمة في القرون الوسطى لبدائيتها وقلة فعاليتها.

أما الفئات السكانية فتشكلت من البدو وأشباه سكان المضارب والخيم يساعدوا أهل الريف في الزراعة ،لكن سرعان ما كانوا يلوذون بالفرار إلى عمق الصحراء عندما تتعرض الأرض إلى جفاف وتزيد الضرائب.[1]

كما أن **طائفةالأتراك** أغلبها الطبقة الحاكمة لاشتمالها على شخصيات سامية مبعوثة من قبل السلطان في اسطنبول واغلبهم ضباط الجيش الانكشاري، وكانت لهم نظرة احتقار للسكان الأصليين[2].

[1]– سمير أبوحمدان، المرجع السابق، ص 17.

[2]– محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 70/69.

اليهود: كانوا يقطنون في المدن ويعتبرون تونسيين ،فكان حظهم في التجارة الداخلية محدودا نسبيا ،حيث حدد لهم نوع البضاعة التي يسمح لهم بالاتجار **أنهم يبيعون ما يكال** بالذراع ويوزن بالميزان من حرير وغيره[1]

الأوربيون: لم يخضعوا لسلطة المحاكم التونسية ،إلا إذا كان أمر يتعلق بالمسائل العقارية فإذا ارتكب الأجنبي جناية أو جنحة فإنه يمثل أمام قنصل بلاده الذي يعود إليه الأمر في عقابه وقد كان القناصل يشاركونهم أعمالهم بل يخدمون أغراضهم الدنيئة وهم قادرين إذ لزم الحال على تبرئتهم وتخليصهم ،وقد كانوا يخرقون القوانين والنظم ، ولم يكن في مثل هذه الظروف على الحكومة التونسية أي نفوذ في ضمان الأمن والنظام ، كما أنها غير قادرة على جمع الضرائب من الأوربيين.

المماليك: وهم ملاكون متغيبون يعيشون في الحاضرة ويؤجرون أراضيهم الشاسعة لمزارعين وقد كانت الأرض الأكثر خصوبة بين أيديهم مثل خير الدين باشا[2]

الزنوج: يقطنون في الواحات و ينحدرون من العبيد الذين جلبوا من إفريقيا وقد كان هؤلاء خدم لأسيادهم أو مزارعون صغار وقد كانوا يباعون بأسعار متفاوتة حسب الدرجة التعليم والتربية[3].

[1]– بوتوقوماس حفيظة، المرجع السابق، ص 294.

[2]– علي محجوبي، المرجع السابق، ص 18، 19.

[3]– محمد حسن جوهر، **تونس – شعوب العالم**– ،دار المعارف بمصر، 1961، ص 80/79.

البربر: تركزت هذه الفئة في الجنوب الشرقي لتونس تمكنوا من اتقان اللغة الغربية مما جعلهم يختلطون بالسكان الأصليين.[1]

الأندلسيون: الذين طردوا من الأندلس عن طريق حروب الاسترداد التي قام بها الاسبان والبرتغاليين نحو سواحل إفريقيا اشتغلوا في الفلاحة والصناعة والحرف.

كما واجهت الدولة أزمات بسبب إثقال كاهل الشعب بالضرائب أدى إلى اندلاع ثورات أهمها علي بن غداهم سنة 1864[2]

وفي السابع عشر من محرم فاتح سنة 1266 و2 ديسمبر 1849 م ظهر في المملكة التونسية مرض وباقي يعبر عنه في أرض الحجاز بالريح الأصفر، وأصله من أمراض الهند، وعبر عنه في بلادنا بالكوليرة وتلقي هذا الاسم من أطباء الافرنج وصورته أن يصيب الإنسان بإسهال وقيء فيصفر لونه ويسود ثم يموت في ساعات أو قليل من الأيام وقل من ينجو.[3]

كما أن هذه الأوضاع الاجتماعية التي آلت إليها الإيالة نتيجة هيمنة الدول الأوروبية التي تستدعي للسيطرة على التجارة والأسعار واحتكرت طرقها وأرباحها[4].

لقد عرفت الحياة العلمية في القرن 19 انحطاطا وتخلفا وقدر كبير من الهزال إذ أن الكتاتيب، وهي التي قامت مقام المدارس والجامعات لم تكن برامجها تخرج عن شيء

---

[1]– اسماعيل أحمد ياغي، **محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، ج2، ط1، دار المريخ للنشر، الرياض، 1993، ص 91.

[2]– محمد حسن جوهر، المرجع نفسه، ص 80.

[3]– ابن أبي الضياف، المرجع السابق، ص 129/128.

[4]– أبو توقوماس حفيظة، المرجع السابق، ص 304.

مقرر منذ مئات السنين وهو تلقين الطالب شيء من القرآن وشيئا من الحديث ومن النحو والصرف والفقه واللغة وكان جامع الزيتونة في العاصمة التونسية أشبه ما يكون بالجامع الأزهر في العاصمة المصرية، إن لم نقل أنه نسخة طبق الأصل فلا شيء من العلم الذي نعرفه اليوم والعلماء الذين دأب جامع الزيتونة على تخريجهم سنويا لم يكونوا سوى أناس يحفظون القرآن والحديث والعقائد والفقه[1].

إن الاوضاع الاقتصادية وا لاجتماعيةِ والسياسية ولدت حركة فكرية برز فيها الوعي بضرورة خوض اصلاحات في شتى الميادين والانفتاح على الحـ داثة الاوروبية، وقد ساعدها في ذلك تأثر الإيالةالتونسية بالتنظيمات العثمانية والتجربة الحد اثيةِ التي خاضتها مصر في تلك الفترة بالإضافة إلى شعورهم بخطر الإحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م أن يتوسع ليشمل تونس وقد تضافرت كل هذه العوامل في نشوء نخبة تونسية من المثقفين والسياسيين اكتشفوا النهضة الاوروبية و أدركوا الاخطار التي تهدد بلادهم فسارعوالى البحث عن سبل لتحقيق إصلاح شامل تونس وذلك باقتباس النظم الأوروبية في جميع الميادين للغموض بدولتهم وتأملوا في تلك الاصلاحات، فقد أصبحت تبعية ا يالة تونس تبعية إسمية فقط ذات صبغة دينية لدولة العثمانية ودعم هذا الاستقلال ووضع مقومات الخارجية والداخلية أحمد باي الاول الذي تولى العرش في تونس 1837م، فقد رفض تطبيق " التنظيمات الخيرية " التي تضمنها خط ك لخانة 1839م والتي رأى فيها تحديد لنفوذه المطلق رفضه دفع أداء سنوي للسلطان بالإضافة إلى رفضه أن يكون منح الألقاب العسكرية والنياشين حق من حقوق الدولة العثمانية، وقد تزامنت الاصلاحات التونسية والاصلاحات العثمانية دليل اخر استقلالية سياسة الباي في هذا الميدان.[2]

[1]– سمير أبوحمدان، المرجع السابق، ص 16–17.

[2]–ابو قاسم محمد كرو،**خير الدين التونسي**،ط1،معرض الكتاب بطرابلس الغرب ،1958،ص26،25.

ففي نهاية الأمر لم تكن قرارات التجديد الا كرد فعل أمام الاخطار الناشئة عن تدهور ميزان القوى بينهما وبين أوروبا التوسعية ولعل هذه الظروف تضافرت لتولد نخبة تونسية مثقفة[1]، تسعى إلى التجديد والاصلاح العام بتونس وذلك يعدد لا يست هان به من رجال الاصلاح لعلى سير بايات تونس على خطى محمود الثاني سلطان تركيا (1808-1839) كان عاملا مهما في ذلك ،بحيث سعوالتجديد وتركو أثرا هاما في حياة تونس بفضل أفكارهم الواعية للمتطلبات العصر من بينهم: (أحمد بن أبي الضياف وخير الدين التونسي).

[1] محمد الهادي الشريف،مشكلة الاصلاحات بتونس وارتباطها بالمسألة العلاقات التونسية-العثمانية 1840م في كتاب الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19 م،ص 135.

المبحث الأول:

ابن أبي الضياف وكتابه إتحاف أهل الزمان.

المطلب الأول: التعريف بأبي الضياف.

المطلب الثاني: دراسة كتاب إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان.

المبحث الأول: ابن أبي الضياف وكتابهأتخاف أهل الزمان:

المطلب الأول: التعريف بابن أبي الضياف:

رغم أهمية شخصية أحمد بن أبي الضياف، ومكانته، منزلته التاريخية فقد بقي كرسها في الأذهان لماقدمه لتاريخ، فلم تساعدنا الدراسات بمعلومات دقيقة عن حياته وتفاصيلها، فحتى ما جاء في سيرته في مؤلفات عديدة كانت من صفحات الجزء الأول من كتاب أتخاف أهل الزمان .

1. مولده ونشأته ووظائفه:

أبو العباس أحمد بن أبي الضياف[1]، بن عمر بن نصر حفيدالمجذوب إبن الباهيالعوني[2]، يعود أصله إلى قبيلة أولاد عون سلبياته، ولد بن أبي الضياف سنة (1214هـ/ 1804م)، نشأ بين يدي والده الذي صرف كامل عنايته لتربيته وتعليمه[3].

كانت عائلته تتمتع بشهرة، لكونها تـرتسبب الى قبيلة فخورة بأصولها العربية والاسلامية، وعصبتها المتبعة مما أضفى عليها مكانة مرموقة بين العروش المجاورة لها، با لإضافة لكون عائلته تنتسب إلى ولي من أولياء الله الصالحين، وهو سيدي أحمد الباهي فكانت لهم بذلك المرتبة العليا، وذلك لبركته الخارقة والمتوارثة أبا عن جد في منطقتهم المعهود

---

[1]محمدالسنوسي، **ذيل أقدم ترجمة لابن أبيالضياف، مجمع الدواوين التونسية،** حوليات الجامعة التونسية،ع 5، ص144.ينظر الملحق01.

[2]محمد بيرم الخامس التونسي، **صفوة الاعتبار بمستودعالامصاروالأقطار**، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، ص194

[3]الصادق الزمرلي،**اعلامالتونسيون**،تقوتع:حمادي الساحلي، ط1، بيروت، لبنان، 1986، ص71.

عنها بالتمسك بتقاليد بلدها العريقة[1]،كما نشأ وسط السذاجة والرفاهية، وذلك يعود لكون والده يشتغل بالكتابة[2].

ويقول محمد السنوسي " نشأ فيها نشأة صالحة، وكانت تجارة والده به تجارة رابحة، فإن والده على ما كان عليه من رفاهية الحال [3]، إلاأن هذه العائلة نكبت إثو مصرع صاحب الطابع، بحيث سجن والده وافتكت أرزاقه بعد وفاة الوزير أبي المحاسن صاحب الطابع*وهذا ما جعل العائلة تنقل من بيتهم إلى بيت جدهم لأمهم للتكفل بهم، إلى أن أطل صراحه وعاد لمنصبه.[4]

بدأ ابن أبي الضياف حياته المهنية في شوال(1237هـ/21 جوان 1822م)[5]، فقد تم تعيينه في خطة شاهد عدل[6]، بحيث كان متوقعا ان يدخل الميدان العلمي.[7]

أصبح ابن أبي الضياف وزير ال قلم بالحكومة التونسية في (1242هـ-1827م)[8]، وفي ذلك يقول محمد السنوسي "وطالما استعان به أعيان الكتابة في ذلك الاوانوألق و إليه

---

[1]الصادق الزملي، المرجع السابق، ص71.

[2]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص114.

[3]محمد السنوسي، المصدر السابق، ص114.

* ابي المحاسن صاحب الطابع:هوالوزير الشهير أبو المحاسن يوسف الخوجة،صاحب الطابع اصله من مسلمي البغدان أتى لتونس صغيرا بصفة مملوك،وانخرط في خدمة حمودة باشا وسعى لرتبة الطابع اشتهر من ذالك الحين باسم هذه الخطة .ينظر:حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس.** تق،تح:حماديالساحلي،دار الجنوب ،تونس،2010،ص162.

[4] ابن أبي الضياف،المصدرالسابق،مج4،ج8،ص38.

[5]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 4، ج8، ص16.

[6]الصادق الزملي، المرجع السابق،72.

[7]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج8، ص4.

[8]اسماعيل باشا البغدادي، **هدية العرفيين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** ، مج1، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،1951، ص190.

مقاليد المهمات الواردة من كل مكان، إلى أن ارتقى بنفسه، وقد خصه بكتابة سره، وضمه إلى وزيرهم حمدشاكي صاحب الطابع، حيث كان نابغة الدولة،ومصقعها الذي اذا انطلق اعجزوأطرب في الكلام، ولقد تمكن ابن أبي الضياف من تحقيق نجاحات كبيرة في مهماته، حيث أصبح يباشر في تحرير أهم المراسلات الرسمية والمناشير وقوانين الدولة[1]. قام بتحرير منشور الباي حسين لسكان قسنطينة سنة 1831م، موضحا طلبه في ضم قسنطينة لتونس حقنا لدماء المسلمين، والنجاة من بطش الاحتلال الفرنسي[2].

كان على عهد الباي مصطفى من أعضائه،خاصته فقد طلب منه عام 1836م توضيح حكم الشرع من " الفرقة " في خضم رفض الإ يالة طلب الدولة العثمانية النا ص على فرض أداء سنوى، حيث أجابه ابن أبي الضياف: "ان المتسبب في الفرقة هو من يحارب أمه تقر الله بالوحدانية ومحمد بالرسالة ورضا الامة هو الاصل الديني في الامارة.[3]

كلفه المشير أحمد باي ا لأول بإشراف على شؤون كتابته، وابتداء من ذلك الحين بدأت الألقاب الفخرية والاوسمة تتهاطل على ذلك المستشار المثالي الذي تولد في ظرف بضع سنوات رتبة أمير لواء وتحصل على الصنف الأكبر من الوسام الحسيني (1849م)[4].

وباعتلاء محمد الصادق بلي رقاه برتبة " أمير الأمراء " وسماه من أعضاء المجلس الأكبر عام 1277 هـ/ 1860م ،فكاهية بالمجلس ا لأكبر في أوائل جمادى الثانية 1279هـ[5]، وبعد كل تلك الجهود المبذولة في خدمة أربعة ملوك دون مراعاة لظروفه

[1]محمد السنوسي، المصدر السابق، ص116-117.

[2]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 2، ج3، ص175

[3]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 2، ج3، ص204.

[4]الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص73.

[5]محمد السنوسي، المصدر السابق، ص117-118.

الصحية لرابطة جأشة، الا أنه لتقدم سنة وتدهور صحته اضطر لتخلي عن مهامه، وتكريس ما تبقي من عمره للعبادة وإعداد تأليفه الشهير " إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان[1].

2. ثقافته وشيوخه

لقد شجع الحاج بالضياف ابنه ليتفرغ للعلم لضمان مستقبله وذلك بتغيير الاتجاه العائلي من العمل المخزني المحفوف بالمخاطر، إلى مناصب محترمة لان والده أحمد بن أبي الضياف دفعته الظروف الحياتية لانقطاع عن التعلم لغاية الكسب [2]، بحيث لم يكن في العلم بضاعة سوى أنه حسن الخط [3]، كما حرص والده على منحه تربية مطابقة لمنزلته الاجتماعية منذ بلوغه الخامسة أو السادسة[4].

تلقى تعليمه الابتدائي بازار في ابن ملوكة خارج باب الفرجاني [5]، على شيخه محمد بن صالح بن ملوكة وبعد اجتيازه بسرعة مرحلة التعليم الابتدائي دخل جامع الزيتونة، كما >تابع دروسه بجامع صاحب الطابع[6]،

لقد كان أعجوبة الأيام، ولذلك سائر معاصريه ألقو إليه حصاة الأكف، واقر وله بالفضل والشرق، إلى أن بلغ إلى الغاية التي خرجت عن طريق الاستطاعة، على أنه استوى على صرفوة النبلغة في الأدب.

---

[1] الصادق الزملي، المرجع السابق، ص 75.

[2] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج13، ص3.

[3] نفسه، مج 4، ج8، ص38.

[4] الصادق الزملي، المرجع السابق، ص71.

[5] باب الفرجاني، أحد أبواب العتيقة، يقع في الجنوب الشرقي من نابل، وبالقرب منه زاوية بزار فيعا أبو شيح محمد بن ملوكة، ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 4، ج7، ص103-134.

[6] محمد محفوظ ، **تراجم المؤلفين التونسيين** ، ج3، دار الغرب الاسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1404هـ-1984م، ص264.

كما أن ابن أبي الضياف ا سرتقى من مناهل العلوم التي كانت تدرس في تونس خلال القرن 19، ولم يكتف ابن أبي الضياف بهذا القدر من الثقافة، بل حاول تكوين نفسه استثنائيا من خلال ما استقاه من تجربته السياسية، بالإضافة لسفره الى الاستانة وباريسوتأثربمثقفي عصره الذين التقى بهم في تونس او خارجها بلإضافة لاقتناءه الكتب لاثراء معرفته، حيث كان يطلب من خير الدين بعض مؤلفات رجال ال نهضة. فقد قضى ابن أبي الضياف أغلب وقته في نظر الى الكتب، حيث لم يدخل عليه في هرمه الا والصحف دائما بين يديه [1]، كما كان متضلعا في علوم الشريعة باعتراف جميع نظرائه بحصافه رئيه[2] وقد تلقى ابن أبي الضياف معرفته العلمية من الشيوخ والعلماء حيث ترجم لأغلبهم في كتابه وهم:

أحمدابن الخوجة (ت.عام 1241 هـ/1826 م): هو ابو العباس أحمد بن محمد بن الخوجة من شيوخ تونس وعلمائها[3]، نشأ في طلب العلم، وتصدر التدريس. كما تدرج في الولايات العلمية كجامع محمد الباي المرادي والمدرسة السماعية، بالاضافةلتقديمه لحظة القضاء على المذهب الحنفي وبعده خطة الفتوى.[4]

اسماعيل التميمي (ت. معام 1248هـ/1832م): هو أبو الفداء اسماعيل التميمي، حفظ القرآن منذ صغره ثم هاجر الى تونس، وقد حصل العلوم بسرعة، وتصدر التدريس بالجامع الأعظم، كما جلس للتوثيق بالإضافة لتوليه خطة القضاء بالحاضرة عام 1221هـ/1806م ،ويعدها نقل لخطة الفتوى عام (1231هـ/1816م)، وأعيد نفس

[1] محمد السنوسي، المصدر السابق، ص116.

[2] الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص74.

[3] محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبقة السلفية ومكتبها، القاهرة، مصر، 1349هـ، ص 394.

[4] ابن أبي الضياف المصدر السابق، مج4، ج7، ص142-143.

السنة لخطة القضاء. وبعد إطلاق صراحه، أعيد لخطة الفتوى عام 1824م وصار رئيسا للفتوى عام 1243هـ/1828م، بالإضافة لكونه كان يست قي من حاضرة العلم فاس، وقسنطينة، والجزائر وطرابلس.[1]

محمد البحري (ت. عام 1254هـ/1838م): هو العلامة أبو عبد الله محمد البحري بن عبد الله الستار نشأ بين يدي أبيه، وأخذ عنه وعن أبيه، وعن غيره مبادئ العلوم، وقد تدرج في المناصب ، فتصدر للتدريس بجامع قرب داره وكذا خطة القضاء ، كما تقدم للخطبة بجامع أبي محمد الحفصي[2]، وبعدها تولى خطة القضاء بالحاضرة.[3]

محمد بيرم الثالث(ت 1259هـ-1843م): هو شيخ الاسلام الحنفي وثالث البيارمة،[4] ولد في 27 ربيع الاول عام 1201هـ، وكان منشؤه في طلب العلم، وتصدر التدريس وكان متمكنا في علمي المعاني والبيان والمنطق، بالإضافة لإتقانه طريقةالإلقاء التي سنها ابراهيم الرياحي، ومن وظائفه توليه الخطابة بجامع يوسف صاحب الطابع، وكان أول خطيب به، وتقدم للفتوى في حياة والده[5].

---

[1] نفسه، مج4، ج8، ص12.

[2] جامع أبو محمد الحفصي، وهو جامع موجود في تونس صار محمد السنوسي اماما فيه بعد الشيخ اسماعيل التميمي، محمد بن عثمان السنوسي، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، ج1، تح وتع محمد الشاذلي النيفير ، دار بوسلامة، تونس،1983م،ص302.

[3] ابن أبي الضياف، المصدر السابق مج4،ج8، ص35-36.

[4] محمد السنوسي، المصدر السابق ،ص116.

[5] محمد النيفر، المصدر السابق، ص116.

ابراهيم الرياحي (ت، عام 1266هـ/1850م): هو ابراهيم بن عبد القادر بن أحمد بن ابراهيم، أصله من طرابلس، رياحي الدار وقد ولد بتستور وبعدها قدم لتونس.[1]وقد أخذ من جامع الزيتونة عن أعلام عصره كصالح الكواش وحسن الشريف بالإضافة لأخذه الأصول والقواعد التي يتم استنبطانها من الفقه عن اسماعيل التميمي والبيان والمنطق والنحو بالإضافة لأخذه التصوف، وبعد اتمام تعلمه انكب مدرسا بجامع الزيتونة، وخلف شيخه محمد الفاسي في تدريس تفسير البيضاوي وصحيح البخاري في جامع صاحب الطابعومن الذين تخرجو على يد أحمد بن أبي الضياف[2].

محمد بن الخوجة (ت. عام 1279هـ/1862م): وهو أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس حميدة بن الخوجة اعتنى والده بتربيته وتوجيهه، وطلب العلم بجامع الزيتونة، فأخذ عنه وعن غيره من شيوخ الاسلام في تلك الفترة [3]، وبعد استكمال تحصيله، انتصب لمباشرة النظارة والتدريس بجامع الزيتونة عند تأسيس قانون دراسة العلوم به في سنة 1258هـ/1842م،[4]ثم ولي قضاء المذهب الحنفي، ثم نقل الى خطة الفتوى وبعدها ترأسها[5].

أحمد الأبي (ت . عام 1274هـ/1885م): هو أبو العباس أحمد بن الشيخ الفقيه أبي الثناء محمود الأبي الحنفي، ولد عام 1180هـ/1766م: وقد أخذ مبادئ العلوم، وبعده

---

[1]خليل مروم بك، **أعيان القرن الثالث عشر في الفكروالسياسة الاجتماع** ،لجنة التراث العربي ط 2، بيروت لبنان1971، ص261.

[2]محمد محفوظ، المرجع السابق، ج 2، ص387-388.

[3]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، ص127-128.

[4]محمد بن خوجة، **تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد**، تح و تق: الجيلاني بن الحاج يحيى، حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1985م، ص100.

[5]محمد محفوظ، المرجع السابق، ج 2، ص257.

ألزمه شيخه صالح الكواش على التدريس عندما أخذ راية التحصيل باليمين، وكذا تصدره بالجامع الأعظم . وانتخبه الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى امامه جامعة والتدريس به كما قدمه المشير أحمد باي مفتيا، فجلس حذو الرئيس ولم يتصدر للفتوى [1] أخذ عنه ابن أبي الضياف الأشموني[2].

محمد بن ملوكة (ت. عام 1276هـ /1860م): هو أبو عبد الله محمد ابن الولي أبي الفلاح صالح بن ملوكة، نشأ في كنف والده أين حفظ القرآن الكريم وحصل العلوم على أيدي العديد من العلماء، وتصدر للتدريس، ثم اختار تعليم القرآن الكريمبأسلوب لم يعهده به من قبل، بالإضافة لعدم انقطاعه عن التدريس بجامع الزيتونة وغير من المساجد . و خوطب للقضاء والفتوى والإمامة بالجامع فامتنع، ويقول أن أبي الضياف : " وكنت من تلاميذه الساكنين بزاويته ، وشاهدت من حسن أخلاقه وعبادته ما يستوقف القلم.[3]

محمد بن سليماني المناعي (ت .عام 1247هـ/1831م): وهو كاتب أبو عبد الله محمد بن سليمان المناعي ، نشأ بقبيلة أولاد مناع من دريد، ثم ارتحل الى مدينة تونس لطلب العلم، وأخذ عن أعلام الزيتونة في عصره، كما رحل في طلب الفقه الى فاس[4]، لما امتلئ بالعلم حوضه، درس بالجامع الأعظم ، وباشر بخطة التوثيق وأولاه الوزير يوسف صاحب الطابع خطة الإشهاد وخطة الكتابة[5].

---

[1]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، ص 104-105.

[2]الاشموني: كتاب تناول قواعد اللغة، وقد علق محمد النيفر 1807-1806 على شرح الاشموني ينظر الاشموني، شرح الاشموني على القبة بن مالك المسمى " مناهج السالك الى ألفية بن مالك " ،ج 1 ثح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1378هـ/1955م ،ص 46-63.

[3]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، ص 104-105.

[4]محمد محفوظ، المرجع السابق، ج 4، ص393.

[5]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج7، ص 164-166.

وفاته وآثاره:

توفي ابن أبي الضياف يوم الثلاثاء 17 شعبان 1291هـ29 سبتمبر 1874م . وقد حضر جنازته الوزير الأكبر خير الدين، بالإضافة إلى الوزراء ورجال الدولة،كما أن الباي محمد الصادق زار بنفسه دار الفقيه لتقديم التعازي [1]،وقد شيعت جنازته بالاحتفال اللائق بمقامه، ولقد دفن في تربة آبائه الموجودة بجوار جامع صاحب الطابع الوزير أبي المحاسن يوسف، وكان ذلك داخل الحاضرة. وقد رثاه صاحب الخلاصة النقية أبو عبد الله محمد الباجي المسعودي [2] بقوله : سليل أبي الضياف وصار ضيفنا إلى دار الكرامة والكرام.

أما أثاره فكتاب إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان كانت آثارا قيمة حيث نشرت و اصبحت في متناول القراء نذكر منها :

<u>رسائل أبن ابي الضياف إلى خير الدين التي حققت من طرف محمد صالح المزالي:</u> كان عدد هذه الرسائل ثلاثا وعشرين رسالة اثناء اقامة خير الدين في فرنسا (1854 – 1857)،ورسالتين عندما كان خير الدين يقوم بمهمته بالأستانة (جانفي1860/ديسمبر1864)،حيث أطلق عيها المحقق "تتمة لاتحا ف أهل الزمان،وذلك لاهميةإثراءاتها للمعارف التاريخية.

روى ابن أبي الضياف كل مجريات الاحداث لخير الدين اثناء غيابه،وكل ما جرى بالبلاط،بالإضافة إلى تغييرات التي طرأت على جهاز الادارة ،فتعد هذه الرسائل عبارة عن "يوميات تاريخية ."بالإضافة لبعض الاسئلة التي وجهها لمعالجة بعض القضايا

[1] محمد النيفر –ال مصدر السابق.ج 2.ص131–ينظر كذلك : حسن حسني عبد الوهاب ، **كتاب العمر في المصفاتوالمؤلفين التونسيين** _ مج2 ، ص 560 .

[2] ابن أبي الضياف المصدر السابق، مج 1،ج1 ، ص05.

المطروحة في عهد الاصلاحات الدستورية.كانت حول انتخاب اليهود ،وحكم شهادة الكافر عن المسلم ، حيث حث على معالجة ودراسة القضايا اعتمادا على الإجتهاد[1].

المقامة البشرية في الأنوار البشرية بالمكتبة الوطنية رقم 4346 [2] بالإضافة لذلك ، كان له دواوين شعر ، ومن شعره مدحه لتونس في شو قه اليها وهو في الأستانة يقول : نسيم تونس حياتي ويحييني *** والطيب منه إذا ما تهت يهديني [3]، ومن خلال تصفح كتاب الإتحاف وجدنا مجموعة من القصائد كان قد وظفها وأوردها الكاتب لاغراض متعددة.

رسالة ابن أبي الضياف في المرآة (1856)[4]:

من تقديم وتحقيق المنصف الشنوفي في حوليات الجامعة التونسية ، العدد الخامس لسنة 1968م ،من الصفحة 49 إلى 112 [5] ، وهي تشمل إجابة العالم على ثلاثة وعشرين سؤالا طرحت من بعض علماء فرنسا ، حيث أن خير الدين تلقى هاته الاسئلة من طرف بعض الفرنسيين .وذلك لما كان مقيم في باريس ، مما جعله يطلب من أبي الضياف الإجابة عنها ، وقد كتبت هاته المراسلة بخط يوسف جعيط ، حفيد ابن أبي الضياف ، وفي الهامش كتبت بخط أحمد بن أبي الضياف لا صلاح بعض التحريف .

---

[1] ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، مج1-ج1، ص 80 .

[2] محمد محفوظ. المرجع السابق ج 3، ص 268 .

[3] محمد النيفر _ المصدر السابق _ج2_ص131 ،ينظر كذلك: الهادي التيمومي،**تونس والتحديث (1831 _ 1877) أول دستور في العالم الإسلامي** ،دار محمد على لنشر ،تونس، 2010م، ص190.

[4] خير الدين التونسي ،**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** (المقدمة وتقارير المعاصرين تعليل النص وتحقيقه مع جداول وملحقاته وفهارس للمصنف الشرقي، المؤسسة للكتاب ط2، الجزائر 1986م، ص232.

[5] محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ج3 ص268.

المطلب الثاني:دراسة كتاب اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان:

1) التعريف بكتاب اتحاف أهل الزمان:

إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان [1]،ويعرف اختصارا بالأتحاف ، يعتبر كتابا هاما جدا او ذلك لاحتواءه على معلومات واخبار كثيرة جعلته يتمتع برؤية خاصة لا يشاركه فيها أي كتاب تاريخي أخر في تلك الفترة[2].

إن اختيار ابن أبي الضياف لعنوان كتابه "إتحاف أهل الزمان باختيار ملوك تونس وعهد الأمان" اختيارا جيدا وموفقا لأبعد الحدود.وذلكلأن الكتاب يتمحور موضوعه حول قضية مركزية محددة تتمثل في إبراز نتائج الحكم الاستبدادي المطلق.ودعوته إلى الحكم الم قيد بقواعد قانونية أو شرعية ،لمنع الملوك من تصرف على راحتهم وأهواهم[3].

بالإضافة إلى أن ابن أبي الضياف اراد كتابة تاريخ البايات المعاصر لهم.وكان حريصا على تقديم هاته المراحل التاريخية في اطار دراسته .عهد الأمان كما ورد ذلك في عنوان الكتاب.

وقد بدأ أبي الضياف في تأليف كتابه يوم 18 رجب 1978 هـ الموافق لـ19 جانفي 1862م ،وأنهاه سنة 1872 .أما بالنسبة للباحث على تأليفه، فقد أشار إليه المؤلف حيث

---

[1] هناك من يسميه "إتحاف"أهل الزمان بأخبار عصر عهد الأمان في تاريخ افريقية لا سيما تونس والقيروان ينظر :اسماعيل باشا بن محمد بن مير سليم ،**ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون** ، مج1 ،دار الاطباء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ص 12 ، ينظر كذلك اسماعيل باشا البغدادي المصدر السابق ، مج1 – ج1 – ص190.

[2] رشاد الامام ،،**سياسة حمودة باشا في تونس 1782 –1814م** – رسالة دكتوراه في الفلسفة. الجامعة الامريكية – بيروت– ص34.

[3] علي المحجوبي –**ما يجب ان نعرف عن النهضةالحديثة في القرن التاسعالعشر (لماذا فشلت مصروتونس ونجحت اليابان)** .سراس لنشر تونس– 1999م –ص109.

قال:"فحركتني رياح هذا الوطن إلى أطنا ب، ربما استحسن في مثل هذا الباب،مع اني لست من أولئك الرجال ،ولا من فرسان هذا المجال .لا سيما الشيبة ولّت والقريحة كلّت،والقوى ألقت ما فيها وتخلت ،لكن من وراء فصوري عين الرضا.وعادات الكرام من الإغضاء".[1]

وقد ألفه عند ابتعاده عن البلاط على اثر انتفاضة عام 1864، وكذا دعم محمد الصادق باي لمصطفى خزندار [2] وتنكره لرجال الاصلاح.[3]

والكتاب الذي أنا بصدد دراسته هو مكون من أربعة مجلدات، ومرتبة حسب تقسيم الكاتب أي المؤلف إلى مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة [4]،وهو من تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية.في الطبعة الثانية ، من اصدار الدار العربية للكتاب.تونس عام 2004م .

قسم المجلد الأول إلى جزأين،حيث أن الجزء الأول بدأ بتقديم للدكتور عبد الباقيالهرماسي(وزير الثقافة)ثم يليه"عودة إلى الإتحاف ". وتتضمنه عدة عناصر وهي:"من مخطوط إلى الكتاب"ابن أبي الضياف من الوزارة إلى التاريخ واهم مرجع لتاريخ تونس الحديث،لتليها العلاقة الجدلية بين التاريخ والاصلاح بقلم الدكتور خليفة الشاطر (المدير العام لدار الكتب الوطنية)تضمنت"ترجمة ابن أبي الضياف في الرائد التونسي 04 أكتوبر 1874م"[5]،وترجمته بقلم الشيخ محمد السنوسي في مجمع الدواوين التونسية ،وبعدها ترجمة لابن أبي الضياف مخطوط المكتبة العبدلية،مع ذكر لبعض المراجع المذكورة في

[1]ابن أبي الضياف. المصدر السابق ،مج1. ج1،ص5.

[2]خزندار:كانت السياسة على عهده تتميز بسيطرة الباي وانفراده بحكمه المطلق–حيث يفرض ارادته على شعبه مستعملا ،القوة في ذلك فعرفت فترته بفرض الضرائب المجحفة على السكان. ينظر: على المحجوبي، المرجع السابق ص 108.

[3]ابن أبي الضياف :المصدر السابق، مج1، ج1، ص1.

[4]ابن أبي الضياف ،مج1،ج 1،ص72.

[5]نفسه،،ص6.

الطبعة الأولى من الجزء الأول عام 1963م،ويليها التعريف بالكتاب واندرج تحته :" الكتاب ومحتوياته ووصفه مخطوطاته المعتمد عليها في هاته الطبعة وطريقة النشر.

ثم تطرق بعدها لما عرف بالمقدمة ،وهي تشتمل على عقدين ، فكان له من العقد الأول نظرية ومن العقد الثاني مقدمة تاريخية لغاية الاعتبار .خصص ابن أبي الضياف عقدها الأول للملك واصناف في الوجود.(من ص60 إلى غاية ص71)كما قسم الملك إلى ثلاثة اصناف هي :الملك المطلق والملك الجمهوري،

والملك المقيد بقانون.كما أنهى عرضه للعقد الأول ب خاتمة في"ذكر شيء مما ورد في العدل والمشورة،وصفة الإمام العادل ،وغير ذلك ممن تحسن به محاضرة الملوك"(من ص72 الى غاية 77)[1].

أما العقد الثاني من المقدمة لخص فيها "الإلمام بأمراء إفريقية وبيوت الملك بالقيروان والمهدية وتونس"(من ص 78 إلى غاية ص 101) وبها "الخبر عن بيت الملك من بني الأغلب"(من ص102 إلى غاية ص 119).وتلاها "بالخبر عن بيت ،الملك بافريقيه من صنهاجة(من ص 131 إلى غاية ص 145)،وبعدها"الخبر عن تونس ومن تداولها من الأمراء بعد تراجع ملك المعز بن باديس"(من ص 46 إلى غاية 151)،"الخبر عن بيت الملك بن بني حفص"(من ص 152 إلى غاية ص 191)،ويليه الجزء الثاني من المجلد الأول:الذي تناول فيه "الفتح العثماني" (من ص09 إلى غاية ص 34).ودعاه "الخبر عن الدولة المرادية وابتداء أمرها"(من ص 35 إلى غاية ص 84) لينتقل بعدها إلى"الخبر عن بيت الملوك الحسينية بالمملكة التونسية "(من ص 85 إلى غاية178).

[1]ابن أبي الضياف. المصدر السابق –مج1–ج1 ص9.

اما فيما يخص المجلد الثاني فيضم الجزء الثالث والرابع .الجزء الثلث يضم خمسة أبواب من اصل الثمانية الذي قال فيهم ابن أبي الضياف ."الملوك بعددها لم تدون اخبارهم ولا قيدت آثارهم[1]."

فكان الباب الأول"في اخبار الباي ابي حمودة (1782-1814م)"فتحدث عنه والاحداث الواقعة في عهده (من ص 11 الى غاية ص 88).والثاني "دولة أبي النور عثمان باي (1814/1814م) (من ص 91 إلى غاية ص 101) .وبعده "محمود باشا (1814/1824م)" من(105 إلى ص 149) والباب الرابع. خصه للحديث عن "حسين باشا (1824-1835) وامتد الحديث عن أخباره من ص (153 إلى غاية ص 193)الخامس في دولة الباشا أبي النخبة مصطفى ب اي(1835/1837م)" امتدت صفحاته من (ص197 الى غاية 288). تناول فيه العديد من الأحداث منها.الخبر عن الحرب بين الجزائر وتونس وأسبابها، والخبر عن ثورة الترك بحاضرة تونس، ومقتل الوزير ابن المحاسن يوسف صاحب الطابع .وكذلك حرب الفرنسين للجزائر ومقتل الوزير شاكير صاحب الطابع.

أما الجزء الرابع،وهو يتكون من 268 صفحة فقد افتتحه بالباب السادس في دولة المشير ابي العباس أحمد باي (1837/1855م) امتدت صفحاته (من ص 11 إلى غاية ص 182) وقد تناول فيه الإكثار من الجند،تأسيس المكتبة الأحمديۃ،وترتيب التدريس بجامع الزيتونة، عتق المماليك ،وانشاء مدرسة حربية بباردو.والرحلة إلى فرنسا والإعانة الحربية للدولة العثمانية. [2]

[1]نفسه ،مج1،ج1 ص 06.

[2]ابن أبي الضياف، المصدر السابق،مج1،ج1ص6.

الباب السابع في دولة المشير باشا أبي عبد الله محمد باي عا م.(18591855)وامتد الحديث عن أحداث هذه الفترة من (ص 185 إلى غاية ص 228) من أهم ما تحدث فيها تنظيم المحاكم الشرعية وقانون عهد الأمان والتنقيص من العسكر أو منشور الفلاحة،وقدخص جزءا معتبرا للحديث عن عهده الأمان ا(متد من ص232 إلى غاية ص 268).

أما بالنسبة المجلد الثالث فهو يتكون من جزأين الخامس والسادس، فالجزء الخامس يتكون من 203 صفحة وقد تضمن الباب الثامن في " دولة المشير ابن عبد الله محمد الصادق باشا باي ف1882/1859م " حيث تناول فيه (من ص 11 إلى ص 193) الاحداث التالية :أداء اليمين على احترام الأمانوانشاء التلغراف [1] بتونس وانشاء طباعة وصحيفة الرائد التونسي، وتكوين المجالس المنبثقة من عهد الأمانواجتماع الباي نابليون الثالث بالجزائر،[2] وعهد الأمان و مشكلة الامتيازات الأجنبية.

أما فيما يتعلق بالجزء السادس فكان تكملة للباب الثامن في دولة المشير اب ي عبد الله محمد الصادق باشا باي وقد تكون من 142 ص وهو ما جاء فيه :سفارة خير الدين لدى

[1]التلغراف: وهو مشتق من كلمتين في اللغة اليونانية هما نيلي: معناه البعيد غرافت معناه الكتب فيكون معنى تلغراف الكتابة من بعيد، وقد كان ابتداء الانتفاع به في تونس أوائل دولة المشير محمد الصادق باي.محمد بن الخوجة،المصدر السابق،ص158 .ينظر كذلك : ابن أبي الضياف،المصدر السابق، مج 1، ج1، ص78.

[2]وكان ذلك 1277/ه/1860م ، حيث قام الباي محمد الصادق بزيارة لها أتى للجزائر وذلك للأحكام علاقة المجاورة بين البلدين فاحسن الامبراطورية نابليون الثالث استقباله. كما اخبره الباي التونسي بالإصلاحات التي قام بها في تونس، وسلمه نسخة من عهد الأمان .خليل مروم بك ، المرجع السابق،ص272 .

الباب العالي لمحة تاريخية عن علاقة تونس بالدولة العثمانية ،تفاقم عجز الميزان التونسي وانتصاب الكوسيون المالي،[1] والتنكيل ببعض المشاركين في ثورة ابن غذاهم.

المجلدالرابع عبارة عن خاتمة للمؤلف الا أن ه استقاها من مادة تختلف عن المؤلفات الأخرفي العادة نجد الخاتمة اما تلخيص او استئنا ج لما جاء في الموضوع، أما ابن الضياف كانت عبارة عن تراجم للأعلا م حيث يشمل قسمين: قسم التراجم الأول الذي يمثل الجزء السابع يتكون من 167 صفحة وقسم التراجم الثاني الذي يشمل الجزء الثامن يتكون من 185 صفحة. وبذلك توزعت تراجمه كالتالي:

-158 ترجمة للسياسيين والعسكريين والموظفين والاداريين وأشباه الاداريين .

-144ترجمة للعلماء من مدرسين وأدباء وأهل الخطط الشرعية.

39 - ترجمة الأئمة الخطباء.

29 - ترجمة لمشايخ الطرق ومقدمي الزوايا.

26 -ترجمة التجار وأمناءالأسواق وأعضاء المجالس التجارية.

-عدد من الصناع والفلاحين والأثرياء ومنظف جامع.

-عدد من التراجم لقيادة وأعيان العروش ، وقد وضع المؤلف بعد كل جزء من هاته الأجزاء، فهرس للموضوعات الخاصة بكل جزء منها وقد تجلت . قيمة هذا الكتاب من خلال هاته المعلومات المتقدمة الذكر حيث ساهمت في إثراء ثقافة النخبة اذا وضح ابن

[1] الكوميسيون المالي: هي عبارة عن لجنة مختلطة تم تشكيلها نظرا لتأزم الوضعية المالية للبلاد حيث ترأسها الوزير خير الدين عام 286هـ/ وهدفها حماية مالية الدولة من خطر الديون، ، ينظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق مج3، ج6، ص118 119.

الضياف في خطة كتابة ضرورة اهتمام المؤرخ بتاريخ الملك، والوزير والعالم والكاتب والبطل والكريم والنبيه.[1]

بالإضافة لجلاء قيمته من خلال عدم اقتصاره في ترجمته على طبقة معينة .

الا أن أبي الضياف لم يقتصر على طبقة معينة، فلم يقتصر على أعوان الباي والعلماء فحسب بل ترجم لغيرهم من رؤساء القبائل وأمناء المصانع. حيث جاءت ترجمته في مجلده الرابعفسيفساءإجتماعية شاملة لمختلف مكونات المجتمع [2]. اذ يقول ابن أبي الضياف : "والخاتمة فيها تسير لي علمه من تراجم بعض الأعيان المتأخرين من العلماء والوزراء والكتاب وغيرهم ."[3]

2) منهج ابن أبي الضياف في كتابه:

إن القارئ لكتاب " إتحاف أهل الزمان " يلمس ويرى اختلاف أسلوب ابن أبي الضياف مقارنة بمؤرخي البلاط. حيث نلاحظ أن أبي الضياف تجنب أساليب المدح، بالإضافة محاولته قدر الإمكان توخي الموضوعية في سرده وتحليله وأحكامه .من خلال أسلوب ابن أبي الضياف، نلمس اهتمامه بالمفاهيم المؤسسة للفكر الخلدوني للدولة والعصبية والعمران مثل استشهادهبمقولة ابن خلدون في مقدمته " فصل في ان الظلم مؤذن بخراب العمران " [4].

[1]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج1، ص ص2-3.

[2]أحمد السلام، المرجع السابق، ص165.

[3]ابن أبي الضياف، المصدر السابق -مج 1- 1- ص 7.

[4]عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار إحياء التراث العربي، ط4 ، بيروت لبنان ، ص286.

نذكر على سبيل المثال (ص 16 – 19 – 46 –68 – 102 – –103) [1]من المجلد الأول للجزء الأول .

كما اعتمد على معايير ابن خلدون لدراسة تاريخ بعض الدول، مع حرصه في كتابته على بيان الشرعية للإصلاحات والدفاع عنها ويظهر ذلك جليامن خلال : " حين كانت أقرب للقانون الشرعي " [2] إلى جانب هذا فق د تميز الاتحاف بعفوية أسلوبه ولغته في سرده للأحداث،فقد كان يميل الي تبسيط لغته حيث استعمل بعض المصطلحات وعبر عنها بمعناها العامي التونسي مثل : مكاحل، خلاص، كذلك عبر عن كلمة " الفساد " بمعنى الخروج عن الطاعة وعدم الانصياع إلى القوانين، وعبر لفظ " النفاق " عن معنى التمرد والعصيان واستبدل مصطلح " التجنيد " بمصطلح " التنزيل. "[3]

وقد استشهد ابن أبي الضياف بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والابيات الشعرية للتدليل على صحة أقواله في بعض الأحيان .ففي أغلب المرات يورد استشهاد في المكان المناسب، ومثال ذلك، عند حديثه عن الحكم المطلق ومعارضة الشرع له. استشهد ابن أبي الضياف في هذا بقوله تعالى:

يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ .[4]

وايضا أستشهد بالأحاديث النبوية الشريفة، وذلك لا حظ ناه بكثرة في كتاب الاتحاف، ومثال ذلك في حديثه عن سياسة حمودة باشا في البجباية. استشهد بقوله صلى الله عليه

[1]ابن ابي الضياف، المصدر السابق، مج1 –ج1، ص 16. .19. 46. .68. 102. 103.

[2]نفسه مج 1.ج2 ص72.

[3]نفسه، مج1، ج1، ص15.

[4]سورة "ص" الآية 26.

وسلم: " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " بالإضافة إلى الكثير من الأبيات الشعرية في المجلدات الأربعة.

عمد ابن أبي الضياف في سرده للاحداثبتعريف بشخصية الملك، وبعدها سرد الأحداث التي وقعت على عهده ليختمها بخصاله وأخلاقه ووفاته وسار على هذا المنوال في كل الابواب كما وفق ابن ابي الضياف في جزءا الذي كان قد ترجم فيه لشخصيات من فئات مختلفة الجزء السابع بدأ بالملوك وانتهى بالنبهاء حيث اتبع نظاما يشبه هيكل القصة لكل ترجمة من تراجمه فيقدمها بتمهيد يعرف فيه بأصل الشخصية، وذكر شأنها ويختمها بالقاوة الاخلاقية ثم الوفاة .كما اتبع في ترتيب تراجمه اسلوبا زمنيا تصاعديا فكانت أول شخصية أحمد القرن سي المتوفي عام 1782م[1]، واخر شخصية هو حسن الشريف المتوفي عام 1872[2].كما وضع هامش شرح فيه بعض المصطلحات التي رآها صعبة مثل اربقض،المكافحة[3]، مزورا[4] وتعريفه ببعض الشخصيات مثل أحمد بابا[5]، والأمير ألي كالي فارس[6].

والاماكن مثل المحمدية[7].

كما لاحظنا غلبة المصطلحات الاقتصادية على كتاب الاتحا ف وهذا راجع لنظرية ابن أبي الضياف على قوة العلاقات وتنوع ها بين الظاهرة الاقتصادية والهياكل الاجتماعية

[1]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج7، ص13.

[2]نفسه، مج4، ج8، ص 179.

[3]ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص 19.

[4]نفسه، مج2، ج3، ص207.

[5]نفسه، مج2،ج4، ص 88.

[6]نفسه، مج2، ج4، ص 36.

[7]نفسه، مج2،ج4، ص70 .

والسياسية ويظهر ذلك في بعض المصطلحات مثل الجند والعسكر، والبد و وكبارررجالالدولة، وتعلقها بالناحية الاقتصادية في نظره بأموال الإنتاج والعمل.

عمد ابن أبي الضياف في بعض الأحيان على اختصار بعض الأحداث التاريخية واهمال بعض الوقائع او ذكرها باختصار في حين أنها تستحق ذكر أكثر مما جاءت عليه[1].

3. مصادر كتاب ابن ابي الضياف

لقد تعددتمصادر الإتحاف وذلك من فترة لأخرى. حيث جاء كتابالإتحاف بأحداث تاريخية امتدت من الفتح الإسلامي إلى عهد الصادق بلي من أهم المصادر نذكر:

في العهد الوسيط:

اعتمد ابن أبي الضياف للتعريف بهذا العهد على أهم مؤرخين كتب هاته الفترة ومنهم: تقي الدين المقزيزي،[2] والزركشي،[3] والقاضي عياض[4] وابن خلدون.[5]

وكذا ابن فرحون في الديباج والقاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان، وذلك في إشارة منه لتناولهما تعريف الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري.[6]

---

[1]أحمد الجندي، **ممحنة النهضة ولغز لالتاريخ في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية،ط 1، بيروت، لبنان، 2005م، ص62.

[2]تقيي الدين احمد بن علي المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية** ،ج1، تح:محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مديولي، ط 1، القاهرة، مصر 1998م، ص125-129.ينظركذلك:ابن ابي الضياف،مج1،ج1،ص5.

[3]أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزكرشي، **تاريخ الموحدين والحفصية** ،تح،تع: محمد ماضوور ، المكتبة العتيقة،ط2، تونس 1966م ص 129، ينظركذالك: ابن أبي الضياف ، مج1، ج1،ص5 .

[4]القاضي عياض ،**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك** ، ج1، تح:أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ص259 326.

[5]نفسه،مج1،ج1،ص5.

[6]أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ، **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان** ،مج3، تح :احسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، لبنان ، ص466.

بالإضافة في ذكره لتاريخ وفاة الشيخ قويسم إلى كتاب عنوان الأريب،[1] وكذا بيان المغرب لابن عذارى في تعريفه لمحمد بن عبيد الله المعدي،[2] بالإضافة إلى خلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبد الوهاب في شرحه لطنيذة[3].

بداية تاريخ الحديث:

فقد اعتمد على الكتاب ال باشي لحمودة عبد العزيز في جزئه الثاني، وذ يل بشائر أهل الإيمان لفتوحات آلعثمان لحسن خوجة ، والمؤنس لاخبار افريقية وتونس لابن أبي الدينار في جزئه الأول [4].

بالإضافة لذكره مصادر ثلاثت أو بقيت غير معروفة بالرغم من أهمية هذا القسم التأليفي الذي اعتمد فيه على امهات الكتب تاريخ تونس،إلا أنه اعتبر بابا تمهيديا لتاريخ المؤلف ابتداء من عهد حمودة باشا حيث انطلق المؤرخ من شهود عيان حضر للوقائع منهم:

الحاج بالضياف:[5]هو والد المؤلف الذي كان يروي له بعض الأحداث، وهذا بحكم تنقله في الوظائف حيث كان مع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع، وبعدها ترقى ليصبح رئيسا للكتبة في بيت خزندار، و سفره مع الوزير إلى إسلامبول تم اختياره من طرف الباي ابن عبد الله حسين باشا واستكتابه على يد الوزير ابن عبد الله حسين خوجة.

---

[1] محمد النيفر، المصدر السابق،ج2،ص7.

[2] ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب** ،تح :ج، س، كولان، اليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1983، ص268.

[3] طنيدة: وهي المحمدية حاليا، ينظر ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص101.

[4] أبو عبد الله الشيخ احمد أبو القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن الدينار ، **كتاب المؤسس في أخبار افريقيةوتونس**، الدار التونسية، ط1، 1286هـ، ص216-220.

[5] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، ص37-38.

وبعده الوزير أبو محمدشاكير صاحب الطابع. [1] ونجد إشارات لرواية الأحداث له من طرف أبيه من خلال قوله " وسمعت ذلك من والدي " وذلك في إخباره بأحداث الخلاف بين الجزائر وتونس[2].

وكذا سرده لاجتماع الذي عقد لتسليم الباي عثمان الولايةلابنه يقول ابن أبي الضياف عن والده " وحكى ذلك لكاتبه وصاحب سره الحاج بالضياف [3].

بالإضافة لأخذه عن شهود العيان والحاضرين للأحداث مثلا: سليمان كاهية لكونه كان ناشئافي خدمة الوزير ابن محمد حمودة باشا ولازمه ملازمة الظل مع تدرجه في الخدمة حتى صار آغا. بالإضافة لكونه صهر الباشا أبي الثناء محمود باي.

كما كان لا يعقد الاجتماع من دونه سويسرا في المهمات[4].

أما بالنسبة لمصدر الثالث فتمثل في كونه أصبح شاهد عيان بنفسه وذلك من عهد الباي حسين لكونه ترقي في المناصب. اذا منحه رئاسة ديوان الإنشاء عام 1242هـ/1827م ،[5] وبالتالي أصبح يشاركه في أهم المداولات وكتابة الرسائل، وعلى عهد مصطفى بلي استمر في اطلاعاته، حيث استفتاه الباي في الفرقة وحكمها. ويقول في ذلك ابن أبي الضياف " واستنطقني بذكر الوعيد ".[6]

---

[1] نفسه، مج4، ج8، ص37-38.

[2] نفسه، مج4، ج8، ص41.

[3] نفسه، مج4، ج8، ص96.

[4] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج8، 39.

[5] محمد محفوظ، المرجع السابق ،ج3، ص264.

[6] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص204.

كما كان يستند على الوثائق وذلك من خلال روايته للأحداث اعتما دا على الوثائق التي يحررها هو بنفسه، أو تقديمه للمراسلات الخاصة التي حضرها .فمثال ذلك كتابته للنص الذي أرسل للدولة العثمانية لعدم دفع المعونة السنوية لأوضاعها المتردية ،[1] كذلك وصفه لرحلته إلى باريس التي رافقه فيها أحمد باشا باي عام 1816م وقوله " ولو تتبعنا الرحلة لكانت كتابا مستقلا ".[2]

بالإضافة إلى مشاركته في تحرير شرح قواعد عهد الأمان الذي نقله لنا ويقول في ذلك. " وأمرنا بإنشاء مكتوب عهد الأمان "[3] .

[1]نفسه، مج2، ج4، ص19-20.

[2]ابن أبي الضياف المصدر السابق، مج2، ج4، ص99.

[3]نفسه، مج2، ج4، ص240.

المبحث الثاني

الإصلاحات السياسية والعسكرية

المطلب الاول: الاصلاحات في الميدان السياسي والاداري.

المطلب الثاني: الإصلاحات في الميدان العسكري

المبحث الثاني :الاصلاحات السياسية والعسكرية .

لقد برز في القرن التاسع عشر مجموعة من المفكرين والمصلحين التونسيين ، الذين نادوا إلى ضرورة الإصلاح بعد ما شهدته تونس من أوضاع متدهورة على جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فقد كانت تونس مهددة في استقلالها وهذا ما دفع بهؤلاء المصلحين الى السعي في وضع اصلاحات للبلاد ، ومحاولة الإصلاح كانت قائمة على دراسة الأوضاع وفهمها والتمعن فيها .من اهم الكتاب المصلحين نذكر منهم أحمد ابن ابي الضياف وكتابه " **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان** " ، خير الدين باشا وكتابه " **أقوم الممالك في معرفة أحوال الممالك**" ، محمد السنوسي وكتابه **الرحلات الحجازية** ، كان لهم هدف مشترك وهو ضرورة الإصلاح والتحديث في تونس للوصول الى التطور والازدهار التي وصلت اليه الدول الاوروبية في جميع المجالات كما نلمس محاولات الاصلاح للنهوض بالبلاد وحمايتها من الاخطار الخارجية من هنا نطرح التساؤلات التالية:

. ما هي أهم الاصلاحات التي قام بها بايات تونس؟

-كيف كانت محاولات الاصلاح التي قام بها البايات ؟

-هل تمكن البايات من حماية البلاد من الخطر الاجنبي ؟

المطلب الاول: الاصلاحات في الميدان السياسي والاداري.

1. الاصلاحات السياسية :

أولا : اصلاحات خير الدين التونسي (1822-1877)

ان خير الدين التونسي بقدر ما تشبع بقيم وانجازات الحضارة الغربية أثناء اقامته بفرنسا في مطلع القرن 19 .بقدر ما فهم خطورة تنامي الميل الاستعماري الفرنسي واطماعه في تونس [1].لذلك فان سياسته تتمثل في المحاولة تخلص من النفوذ الاستعماري بإعادة ربط تونس بالدولة العثمانية لتفادي سقوطها في أيدي الاستعمار الاوروبي . وخير الدين لا يدعو الى نظام معين من أنواع أنظمة الحكم ، وانما الغالب على تفكيره وعلى تفكير معاصريه من المصلحين كأحمد بن أبي ضياف مثلا في توفير العدل والحرية " اللذان هما أصلان في شريعتنا"[2] .فخير الدين يرى أنه لا سبيل الى القوة والازدهار إلا بالعودة إلى مبدأ النظام الذي يكون قاما على العدل والحرية .ومن هذا المنطلق يوجهنا الى الاسس التي يبن ى عليها الحكم القوي ، كما بين لنا أن الانفراد بالسلطة والاستبداد بالرأي لا يؤديان الا الى عواقب وخيمة [3]. وهو ما جعله يؤكد أن العمل بالرأي الواحد [4] مذموم ولو بلغ صاحبه ما بلغ من الكمال والمعارف ، بذلك يمكن تلخيص مذهب خير

---

[1]. زهير الذوادي ، **الاستعمار وتأسيس الحركة الاصلاحية الوطنية التونسية** ، ط1 ، الاطلعية للنشر ، 2006، ص137.

[2]. خير الدين التونسي ،**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** ، تق، محمد الحداد ، دار الكتاب المصري القاهرة ،ص 57-58.

[3]. ظافري القاسمي ،**نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي " الحياة الدستورية " الكتاب الأول** ، دار النفائس ،ط1، بيروت ،لبنان ، 1974م ،ص 53

[4]. فريد حاجي ، **الاصلاح وآليته عند " ابن العنابي " و " خير الدين التونسي " خلال القرن 19م** ،للنشر والتوزيع ،ص 150.

الدين السياسي في هذه الجملة "وجب علينا أن نجزم بأن مشاركة أهل الحل والعقد للملوك في كليات السياسة مع جعل المسؤولية في ادارة على الوزراء المباشرين بها بمقتضى قوانين مضبوطة مراعي فيها حال المملكة أجلب لخيرها وأحفظ له".

كما نجد خير الدين يبني تحليلا سياسيا هدفه أن تطوير العلاقة بين الايالة التونسية والباب العالي كفيلة بالحد من الخطر الاوروبي والفرنسي على سيادة تونس وهو المقصد الاصلي لسفره الى اسطنبول سنة 1859 محاولا تثبيت وضع تونس كجزء من الامبراطورية وان كانت تتمتع بحكم ذاتي وهي وضعية تجعل الامبراطورية الاسلامية باقية في وحدتها وصمودها أمام المشاريع الاستعمارية الاوروبية ، وبعد فشله في هذه المرحلة يعيد خير الدين الكرة بتكليف من الباي سنة 1864[1] ، محاولا تحقيق نفس الغرض نتيجة تأزم الاوضاع في تونس ليحقق مرة ثانية بسبب الموقف العثماني ، الا انه نجح في ذلك سنة 1872 حيث صدر فرمان من الباب العالي يشبت وضع تونس كجزء من الامبراطورية العثمانية مه تمتعها بحكم ذاتي كما أن السلطة العثماني وافقت هذه المرة على طلب الباي واستجابتها لمجهودات خير الدين بسبب الوضع الدولي الجديد الذي ظهر أثر الهزيمة الفرنسية في حربها ضد ألمانيا سنة 1870.[2]

ومهما يكن فيمكن حوصلة السياسة الخارجية لحكم خير الدين في الجهود التي يدلها كالتالي :

1. تمسكه بموقف ربط علاقات تونس مع الدولة العثمانية رغم معارضة القوى الاوروبية وخاصة فرنسا.

[1]. زهير الذاودي ، المرجع السابق ،ص 137.

[2]. نفسه ،ص 138.

2. الحفاظ على التوازن في علاقات تونس مع القوى الاوروبية .[1]

فقد كان خير الدين مقتنعا بضرورة اللعب على تناقضات الدول الكبرى تركيا [2] وفرنسا وانجلترا وايطاليا ، للمحافظة على نوع من الاستقلالية للقرار التونسي .

دافع على مبدأ مفاده أن الايالة التونسية جزء من الامبراطورية العثمانية ، على الرغم من معارضة البايات وحاشيتهم وأغلبية النخبة الادارية والسياسية وكذا معارضة فرنسا ، ولذلك نجده خير الدين ينطلق من فكرته المتمثلة في ربط الايالة التونسية بالدولة العثمانية ، ذلك لاعتقاده بان التبعية كفيلة بالتصدي للأطماع الفرنسية في تونس ، ورغم أ خير الدين قبل توليه الوزارة الكبرى في تونس لم يكن يملك زمام الأمور [3] ، الا انه قام بدور هام في اصدار قانون عهد الامان عام 1857 واصدار دستور 1861 [4]، وقانون دولة تونسية ويتكون من ثلاثة عشر باب حيث قام خير الدين بتحديثه وفقا لمبدأ فصل السلطات ، أي الفصل بين السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية ، كما قام بإنشاء نظام

[1]. زهير الذاودي، المرجع السابق ، ص143.

[2]. حاول ان يبقي السياسة الخارجية متوازنة بين مختلف القوى الاوروبية ، وذلك عبر امضاء عدد من المعاهدات منها : معاهدة مع انجلترا في 10-أكتوبر -1869 حول الملكية العقارية للبريطانين في تنس ، ومعاهدة لنفس الغرض مع النمسا في 19أفريل 1866 ، وأخرى مع روسيا في 27جوان 1866 . ينظر : عبد القادر دوحة ، **الاصلاحات السياسية والادارية لخير الدي التونسي في منتصف القرن 19م وعلاقتها بالحضارة العربية ، عصور الجديدة ع 10**-12-**1434-1435 هـ /2015-2014م –** جامعة وهران – ص253.

[3]. زهير الذاودي ،المرجع السابق ،ص 145.

[4]. الهادي التيمومي ، "**خير الدين في عيون الكارهين التونسيين نعمة أم نقمة ؟" في خير الدين التونسي** . واقع الندوة التي انتظمت بيت الحكمة (4-ماي- 2010) ، المجتمع التونسي للعلوم والادب والفنون ، بيت الحكمة ، قرطاج ، 2011،ص197.

برلماني وأسس مجلس تشريعي له سلطة واسعة منها حق خلع الأمير اذا خالف بتصرفاته أحكام الدستور .[1]

كما حرص على احداث دستور ومجلس الشورى ، وتوصل الى أن الحكم المطلق خطر كبير [2] وأن أنسب وسيلة لمقاومة أوروبا هو النهوض بالبلاد ، واصلاح أنظمة الدولة العتيقة[3] وذلك لم ينتظر حتى يصبح في السلطة لكي يفرض رأيه وانما قام بتوضيع . مساواتها في البداية فساهم في تغيير النظام ، كما أحدث خير الدين في المجلس الأكبر الذي يضم ستين عضوا باعتبار خير الدين كان نائبا لرئيس المجلس لفترة قصيرة ، لتعود اليه الرئاسة بعد وفاة نصطفى صاحب الطابع 1861 ، وتعد الوظيفة لأكبر أهمية التي شغلها خلال هذه السنوات ، وكانت الجلسة الافتتاحية لهذا البرلمان يوم 26 أفريل 1961 ، كان هذا المجلس يجتمع مرتين في الاسبوع في دار الباي ، لمناقشة قضايا البلد وكذلك دراسة الميزانية السنوية المقدمة من طرف الحكومة ومراقبتها .[4]

خلال رئاسة خير الذين للمجلس برزت خلافاته ومعارضته للوزير الأول مصطفى خزندار بشأن ادارة الأموال العمومية ، ولم يتمكن خير الدين من زعزعة نفوذ هذا الوزير فانتقال الرئاسة ومن وزارة البحر ويقول محمد يبرم"**.... نشب مخالف التضاد بينه وبين الوزير السابق ... واضطراب بين أعضاء المجلس ... فاستعفى من الرئاسة ..**" .[5]

---

[1]. تامر الحبيب ، هذه تونس ، مطبعة الرسالة ، مكتب المغرب العربي ،ص 23.

[2]. عبد القادر دوحة : المقال السابق، ص251.

[3]. علال التونسي الحركات الاستقلالية في المغرب العربي : ط6، مطبعة النجاح الجديدة

[4]. عبد القادر دوحة ، المقال السابق ،ص 252.

[5]. مصطفى خزندار : هو يوناني الاصل ولد سنة 1817، تربى بقصر أحمد باي – ليعنيه فيما يعد وزير المالية والداخلية وقد اشتهر بمكره وسرقاته الكثيرة ، عزل عن السلطة عام 1873 ، وانتهى به الامر بالمحاسبة بعد 36 سنة قضاها في القصر على يد صهره خير الدين ، ينظر: الشياباني بنبلغيث –المرجع السابق ،ص 68 وللمزيد ينظر : محمد يبرم الخامس ، المصدر السابق ، ص453.

وكما ذكرنا في السابق أن الفترة التي استقال خير الدين ، شهدت تدهورا للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتنامي الخطر الاجنبي على البلاد التونسية وعقب الشعب بسياسته الباي ، الذي ترك الحكم في يد الوزير مصطفى خزندار ، الا أن أصبحت الدولة غارقة بالديون [1] ، أو لإنقاذ البلد من هذا الوضع تم تشكيل لجنة سنة 1869 وفي هذه الاثناء برز خير الدين من جديد ، حيث ترأس هذه اللجنة بعد الحاح كبير من الباي ولقب وزير فكانت بداية مرحلة جديدة في حياته السياسية .

تحدث محمد السنوسي عن عودة خير الدين الى السياسة قائلا : ... **دخل الدولة عند انتصاب الكومسيون .. فكان تصرفه لمشاركة الاعضاء الاجانب الذين يحرسون المال لحقوق أرباب الديون ....، أما الأمر الثاني ... ففيه همة دعته للتشوق الى المعارك والسياسات .**[2]

كما يتضح أن قبول خير الدين لرئاسة اللجنة المالية الدولية راجعا لتحمس لمقاومة الخطر (النفوذ) الاجنبي ، وكذلك رغبة منه في الدخول الى المعترك السياسة على حد ما ذكره محمد السنوسي ،وبداية لتجسيد أفكاره والاصلاحية وآرائه السياسية .[3]

أول عمل قام به خير الدين في الوزارة الكبرى هو الفصل بين اللجنة المالية الدولية مالية الحكومة وذلك من أجل الحفاظ على الاستقلال المالي بالإضافة الى اقتصاد البلاد ومن جانب آخر ابعاد التدخل الاجنبي في الشؤون الداخلية للبلاد ، خاصة في المجال السياسي والمالي والاقتصادي وبالتالي المحافظة على سيداتها .

---

[1]. محمد يبرم الخامس ، نفسه ،ص 510

[2]. محمد السنوسي ، الرحلة الحجازية . تح ، علي الشوقي ،ج 1. ط 1. الرائد التنسية للنشر والتوزيع . تونس . 1976،ص 120.

[3]نفسه ،ص 121.

أشار خير الدين علي الباي بتوظيف رئيس اللجنة كوزير له برتبة وزير أكبر كما هو معمول به في أغلب الدول الاوروبية ، ونقل شؤون اللجنة الى الوزارة الكبرى وجعل اللجنة كجهاز من أجهتها من يقلل من الخطر الاجنبي عليها .[1]

كما جعل خير الدين الوزارة الكبرى مركز لجميع الانشطة الادارية ، وقسم كل ادارة الى أربعة أقسام على رأس كل قسم مستشار ، عمل خير الدين أيضا تفادي الاقتراض من المصاريف الاوروبية ، وجاء بتنظيم ميزانية الدولة تنظيما محكما ، يعد دراسته لقوانين الميزانية وكيفية اعدادها في الدول الأوروبية .

محمد بيرم الخامس عبر عن خير الدين قائلا " **وحصر أوجه الدخل والخراج وبناها على ميزان سنوي** ..."، وبعد مفاوضات التي أجراها مع اللجنة المالية ومع الدول الاوروبية استطاع حصر مواردها ، وقسم مداخيل الكومة الى القسمين :

1. القسم الأول : يتولى ادارته مجلس الادارة ، الذي شكله خير الدين بعد رفض الدول الاوروبية بأن تتولى الحكومة التونسية دفع فائض الميزانية .

2. القسم الثاني :يمثل مصاريف الحكومة من المداخيل بالحبوب والزيت .. الخ ، يتولى ادارته قسم العمل من اللجنة المالية .[2]

2. الاصلاحات الادارية :

إصلاحات خير الدين في الجانب الاداري ، قد بدأت بمقاومة الرشوة والاختلاس فعملت حكومة خير الدين على تأسيس ادارة منظمة تعمل على تطور البلاد وقد شكلت

[1] عبد القادر دوحة ، المقال الاسبق ،ص 259.

[2]. محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ،ص 516.

مسألة تطهير أجهزة الدولة عنصرا هاما في خطة خير الدين عمل على جعل أداء الهياكل الادارية والهيئات والمؤسسات السياسية مطابقة للقانون ، والقضاء على الفساد والرشوة لتستمد ببعض القواعد الاجرائية من الدول الاوروبية [1]، فوضع لها نظاما كحكما لحماية السكان وحفظ أموال الخزينة من سوء التصرف وأعاد الامان وعمل أيضا على انشاء مجلس خاص يتولى حكمه بنفسه وجعل الوزارة هي التي تباشر في الفصل بين القضايا.[2]

كما اهتم بالوظائف الحكومية فحدد مراتبها ومراتب القصر وراقب جامعي الضرائب بوضع أسس لميزانية الدولة حيث خصص قسما لدفع الديون المتراكمة على الايالة والقسم الأخر للحكومة ، ونظم الأوقاف فأعاد لها دورها الديني والاجتماعي .

كما قام خير الدين بتحسين أساليب الادارة واجراءاتها بإدخاله نظام " التقيد" الذي يتم من خلاله تسجيل كل المعاملات الادارية من قرارات ومراسلات وعقود وأحكام في دفاتر خاصة يمكن الرجوع اليها .[3]

نستنتج مما سبق أن اصلاحات خير الدين باشا في جانبها السياسي تميزت بمرحلتين من نضاله السياسي في تونس . المرحلة الاولى كانت ما قبل الوزارة الكبرى ، التي حاول فيها ربط تونس بالدولة العثمانية وحمايتها من الاطماع الاوروبية والمرحلة الثانية كانت مرحلة الوزارة الكبرى والتي تبدأ منذ توليه رئاسة اللجنة المالية الدولية .

[1]. عبد القادر دوحة ، المقال السابق ، ص255.

[2]. محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ،ص 527.

[3]. عبد القادر دوحة ، المقال السابق ، ص 256.

ان خير الدين حمل مسؤولية انهيار البلاد التونسية للوزير مصطفى خزندار واعتبره كذلك المسؤول عن سياسة الاقتراض التي أدت الى افلاس الخزينة البلاد ، وهنا تبرز ملامح جهاده السياسي وكذلك المجهودات الكبيرة لتحقيق من الديون .

وقد كان خير الدين يدعوا بضرورة الاقتداء بنظم الغرب أي السياسة المبنية على الحرية والعدل والمساواة لتحقيق الازدهار والتطور .

أما اصلاحاته في الجانب الاداري جاءت لتحقيق الأمن والاستقرار في البلاد وتحقيق التوازن في المجال السياسي والاداري من أجل التقدم .

كما نستنتج أن خير الذين باشا كان متأثرا بالدول الاوروبية .

ثانيا : اصلاحات المولى المثير محمد الصادق باشا باي : 1859-1882.

هو المشير أبو الفداء محمد الصادق بن الحسنين الرشيد بن حسين بن علي التركي ، وهو ثاني عشر سلوك أل بينة العظام ولد في 12 رجب 1229هـ / 1812 هـ وخامس أبائه الذين تجملت بتاج ملكهم عروس الأيام ،وتربى في حجور عز دولتي جده وأبيه . ولازم السفر بالأمحال مدة دولة أخيه حتى وفاة محمد باي.

وتمت بيعته في صفر 1276هـ /1859م ، وأبقى رجال دولة أخيه على مناصبهم وقد عبر الصادق بأي يوم بيعته عن التزامه بقواعد عهد الامان .[1]

وقد ذهب الصادق باي الى الجزائر عندما قدم اليها امبراطور فرنسا .

نابليون الثالث وذلك في صفر 1277هـ / 1860م من أجل المصلحة السياسية .[2]

[1]. محمد السنوسي ، المصدر السابق ،ص 159.

[2]. محمد السنوسي ،المصدر السابق ،ص 160.

من بين الاصلاحات التي قام بها الاصدق باي ، نجده قد عمل على تقنين عهد الامان [1] وانشاء المجالس الأهلية للفصل في القضايا والمجلس الأعلى يتمون من ستيف عضو لإبداء الرأي في المسائل السياسية والاقتصادية [2]وقد بدأت هذه المجالس نشاطها منذ أفريل 1278هـ /1861م.

وكان الباي قد تلقى تهنئة من الامبراطور نابليون الثالث على هذه الاصلاحات ولقد كانت فرنسا وايطاليا قد رحبتا بهذه التشريعات التي منحت للأجانب حق ملكية العقارات وممارسة الحرف ، لكن كان هناك اعتراض على عدم منح الرعايا هذه الدول الامتيازات التي اقرتها الدولة العثمانية ، اصدر الصادق المجيء الى 72 ريال هذا ما أحدث تتمثل في ثورة بن غداهم [3].

إن الاوضاع التونسية قد ازدادت في التدهور ، اضافة الى الاطماع الاجنبية وتدخلها في الامور البلاد فان دوافع الثورة سياسة اقتصادية واجتماعية والمطالب والاهداف واضحة ، وقد كانت قوية وذلك لمشاركة أغلب الشعب الذي كان يعاني من الظلم وهذا يدل على الوعي الشعبي ، ولقد وزع المشير نيشانا جديدا حصة بمناسبة هذه الحرب ، مقلد لأخيه أمير المحلة [4]، نيشانا ذهبيا واعطى منه لأصحاب الرتب العالية، ثم وزع نيشان الفضي

[1]. ينظر الملحق02 ابن ابي الضياف . المصدر السابق ، ج4 ، ص242.

[2]. شوقي عطاء الله الجمل ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** ،ط1، مكتبة الانجلو ، المصرية . القاهرة . 1977م ،ص 118.

[3]. المحلة : هي الجيش الذي يخرج تحت قيادة يسير به او تخرج المحلة اما لجابة الاموال او لتنهد ان وباي الامحال هو ولي العهد ، وباي محلة هو باي الكرسي ، انظر : محمدالسنوسي ، المصدر السابق ص 162.

[4]نفسه ، ص 167.

على سائر العسكر ، وعمل بعدها بإصلاح الابراج ومن قطرة وادي الزقاء ، واتم بناء قشلة القيروان[1] .

عمل الصادق باي على تغيير ادارة الدولة وجعل الوزارة الكبرى مركبة من وزارة المال ووزارة العمالة ووزارة الخارجية .

قد اقام محمد الصادق باي خزنة مكاتيب الدولة ورموها ، اضافة الى اقامة العديد من المجالس والقوانين [2]مثل مجلس النظافة بمقتضى قانون صدر في ربيع الاول 1289هـ /1873م .وعمل على تحسين الطرقات بقانون في ربيع الاول 1290هـ/1873م.

ورغم كل هذه الاصلاحات والاعمال التي قام بها الصادق باي ، لم يتمكن من السيطرة على وضع البلاد التونسية وذلك راجع الى :

رجال الحكومة ليسوا من ابناء البلاد الاصليين ، اي ليس لديهم اي رابط سواء عاملني او تاريخي يربطهم بالبلاد التونسية .

. الديون التي عرفتها البلاد التونسية البلاد لتونسية اثناء فترة الوزير الاول مصطفى خزندار[3].

قام الصادق باي بتكوين مجلس حكومي للميزانية 1284هـ/1868م تحت امر جماعة من اعيان الكتاب برئاسة محمد عبد العزيز بوع تور ، في تنقيح خرج الدولة ودخلها، وادخل

[1]. قشلة القيروان : للعائلة الحسينة عناية بالقيراون ، القيروان لفظ فارسي دخل العربية ومعناها محط الجيش وموضع الجيش وموضع اجماع الناس في الحرب ، انظر : شوقي عطاء الله ، المرجع السابق ، ص 07.

[2]. محمد السنوسي ، المصدر السابق ، ص170.

[3]. سمير أبو حمدان ،المرجع السابق،ص 22-23.

القنصل الفرنسي كعضو في المجلس ليحتج كل من قنصل ايطاليا و انجلتراعلى ذلك [1] .اقترحت فرنسا بتشكيل تحية مالية تضم ممثلين عن ثلاثة دول اوروبية وترأسها شخصية تونسية .

مصدر تشكيل لجنة الكمسيون المالي ، وترأسها خير الدين .

كانت احوال البلاد التونسية في ضعف كبير ، مع بداية حكم الصادق باي خاصة في الجانب المالي ،كما كان التدخل الاجنبي نصيب في ذلك تدخلها في مصالحها الداخلية ، وبضغط منها بإصدار عهد الامان ، فاستبشر الناس خيرا فيه وراوه قادر على تحقيق الامن والامان في حياة الناس من خلال بنود التي يحملها ، فبعد تولي محمد الصادق باي منصب الحكم قام بعض الاصلاحات خاصة الدستورية منها ، بعد ان وجد عهد الامان جاهزا ، ففتح عهده بالتوقيع عليه والقسم اضافة الى رغبته في تحسين المالي للبلاد ، فكان من المتوقع ان تحسين الوضع المالي في ظل التدهور الذي شهدته تونس ، والتي كانت تحت تأثير القوى الاوروبية ، الا ان نفس الصادق باي المبالية الى اهمال الشؤون للحكم وفقدانه الرغبة والطموح جعل الاحلام تتبخر اضافة الى سيطرة بعض الوزراء في تسيير الامور هل مصطفى بن اسماعيل من هنا لنتشر العناد السياسي والمالي وانعدام الاصلاح[2] .

[1]. ابن ابي الضياف المصدر السابق ، ج6، ص 10– ص112.

[2]. ابن ابي الضياف ، المصدر السابق ، ج5 ، ص70.

من خلال هذه الاسئلة يتضح لنا ان الدولة التونسية تعرضت لمآزق مالية كبيرة تسبب فيها محتالين من الداخل والخارج ، فكانت البلاد التونسية اسوء ما يكون عليه الحال على الصعيدين ، وذلك كان سببا في جعل البلاد قبل الاحتلال بين ايدي الحكومة الفرنسية[1].

المطلب الثاني: الإصلاحاتفي الميدان العسكري

ان لتطور العسكري دور بالغ في ازدهار والتدهور، أي الدولة، إذا يعد بمثابة العمود الفقري الذي ترتكز عليه الدول وذلك من خلال حسن التنظيم وهيكلة الجيش من ناحية المادية والمعنوية، وهذا ما سعت اليه الدولة التونسية منذ بداية العصر الحسيني ولتحقيق هذا المسعي قام العديد من البايات بالإصلاح في الجانب العسكري بداية من أحمد باي وكذلك محمد الصادق باي وجاءت هذه الإصلاحات لإنقاذ الدولة التونسية من ناحية ومن ناحية أخرى مواكبة الدول الاوربية.

. ماهي أهم الإصلاحات التي طرأت علي الجيش التونسي؟

عرفت تونس كغيرها من الولايات العثمانية نظام الجيش الانكشاري، الذي كان يتولى حماية البلاد، ويدعي ذلك الجيش بالحامية[2]، كان يتوافد أفرادها علي تونس كلما دعت ضرورة أمن الولاية، كما عرف نظام الانكشارية تطورا وذلك نتيجة للصراعات الحاصلة بين افراده، ورغم كل حاكم جديد في تكوين فرق خاضعة له، وضع بداية القرن 19م برزت محاولات التغير في الفرق الانكشارية وكذلك تنظيم الجيش.

[1] jean , conige J la crisdes2fuances tunisiennes et l'acensai des juifs de lunis /1860J1880) intervue a fnicaine 1995p170.

[2] الحامية: اسم الفرقة العسكرية باعتبارها تحمي البلاد، انظر الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي(1859- 1882)**تق: عبد الجليل التميمي- صفاقس- 1995 ص 43.

1. إصلاحات أحمد باي:

بعد تولي أحمد باي الحكم حاول تطوير الجيش التونسي، وكان طموحه في مواكبة تطور الجيش لدي الدول الاوربية واهم ما قام به من انجاز هو احداث المدرسة الحربية [1]، الذي كان تأسيسها 1840م بباردو [2] بخصره التي تعد جانب علمي لا بد منه لتكوين جيش حديث، حيث كانت بداية التعرف علي طرق التعليم الحربية من أروربا، ومن اهم أهدافها تكوين ضباط علي أسس علمية للجيش الجديد، وتعتبر مظهر من مظاهر المحاكاة لمثيلاتها في إسطنبول والقاهرة[3].

بدأت عملها ب 50 تلميذا اختيروا من بين صغار المماليك وبعض أبناء البلاد يتعلمون فنون الحرب نظريا وتطبيقيا بالإضافة الي بعض علوم الدين واللغات الفرنسية ، الإيطالية[4].

وكان اول مدير لها المستشرق الإيطالي كاليفاربس.

الذي كان يدير قبل ذلك المدرسة الحربية في إسطنبول، وكان ضمن الجيش العثماني ضد محمد على في السنام[5].وقد بقي مديرا لها مدة 13 سنة.

ثم جاء بعده الضابط الفرنسي كمينون[6].

---

[1] الشيباني بنبلغيث ،المرجع السابق، ص 100.

[2] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 36.

[3] عبد المولى محمود**مدرسة باردو الحربية**، دراسة وتحقيق الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس 1975 ص 18– 19

[4] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج4 –ص37.

[5] عبد المولي، المصدر السابق. ص 19.

[6] كمبنون، ضابط فرنسي الحق بالبعثة الفرنسية العسكرية بتونس في 1850، كلف بإدارة مكتب الحرب شارك في حرب القرم، عاد ألى تونس في 1862،برتبة عقيد ثم عين جديد لادارة المدرسة ،انظر الشيباني بنبلغيث ،المرجع السابق ص 100.

رغم طول المدة التي عملت فيها المدرسة فإن نتائجها كانت محدودة ، ذلك لان عدد الضباط الذين اشتهروا في الميدان العسكري والسياسي وصلوا إلى المراكز العليا منهم حسن روستم، ومع هذا فإن المدرسة كانت هي الأثر البارز لإصلاحات أحمد باي بالرغم من توقفها في أخر أيامه[1].

- إن عهد محمد باي تميز بحملين بارزين.
- **أولا:** صدور عهد الأمان الذي كانت القاعدة الخامسة منه تخص بتنظيم الجيش[2].
- ثانيا: التنقيص منالجيش:

يرى محمد باي أن تكاليف الجيش باهظة لذلك لا فائدة من الاحتفاظ بهذا العدد المرهق للخزينة، لذلك أبقي الفرق التي تضمن الامن للبلاد، وقد اقنع نفسه وغيره بان البلاد تحتاج الي العمران والبناء أكثر من عدد الجند.

أصبح الجيش مكونا من ثلاث فرق فقط على النحو التالي:

. فرقة مكونة من كتيبة الخيالة والفرقة السابعة والاولي سابقا.

. فرقة مكونة من الفرقة الثانية والثالثة والرابعة سابقا.

. فرقة مكونة من الفرقة الخامسة والسادسة سابقا[3] .

[1] محمد بن خوجة ، المصدر السابق.ص 483.

[2] الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق، ص 58.

[3] ينظر المحلق 03: أنواع الفرق العسكرية وتوزيعها في عهد أحمد باي أنظر :الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق،ص 52.

أما من بقى من الضباط زائدا على الفرق، الثلاث فان سينظر في امره ، [1] بدأت عملية تسريح للجيش الزائدة عن حاجة الامن، علي فترات متوالية، ابتداء من 1854/1271م. وفي البداية قام بإزالة الجنود الذين طالت مدتهم او ضعف بدنهم، وترك مرتب كاملا لكل من أصيب في بدنه سوآءا كان ضابطا او جنديا [2] .

إن محمد باي اتبع طريقة أخلاقية ومنظمة فقد بدأت بالجنود القدامى الذين اصبحوا غير قادرين على العمل بالجيش وكذلك بإبقاء المرتب لهم بعد التسريح.

بعد انتهاء عملية التقليص هذه بقى عدد الجنود العاملين تحت السلاح ،حوالي 4000 جندي نظامي ،وكتبة من الخيالة، أي حوالي 5000 جندي، أما عدد المسرحين حوالي 9700.وحتي دراسة بباردو– سرح منها أكثر من النصف،

نلاحظ أن عملية التنقيص من الجيش كانت بسب الظروف المادية المتهورة التي نتجت عن مصاريف أحمد باي العسكرية، لذلك لم يكتفي الباي بتنقيص الجند فقط بل أبطل الاوسمة المرصعة بالياقوت، وانتزع ما كان موجودا فيها عند أصحابها وقد عوضهم بأوسمة إفتخار من الفضة[3] .

كم لاحظ محمد باي أن العلاقة بين الجنود والضباط كان فيها استبعاد وسوء استعمال للسلطة، نظام بإصدار أمرا سنة 1855 ينصب على احترام حقوق الجند وعدم

[1]ابن أبي الضياف المصدر السابق. ج4.ص.ص 283–285.

[2]نفسه، ص 286

[3]محمد ابن خوجة، المصدر السابق، ص ص 94–101.

استغلالهم في الاعمال الخاصة أو ضربهم أو سجنهم من طرف الضباط دون وجه الحق، كما ان من يستحق العقوبة من الجنود يجب ان يرفع امر للباي وتحذيرهم ممن العقوبة[1].

بعد تولي الصادق باي الحكم بعد أخيه انضم للعمل بمدرسة باردو وذلك بفتح أبوابها مرة كل عام بقبول 20 تلميذا جدد ولا يتم تحولهم الا بعد امتحان في القراءة والكتابة من طرف أربع ضباط والهدف منه تخريج ثلثي الضباط، ويحلمون بعض اللوم الأخرى، علاوة على فنون الحرب، القران الكريم، اللغة الفرنسية، علم النحو، بالإضافة لي علم المساحة[2] .

لقد انبتت المدرسة الحربية في عهد الصادق باي ضباط شهدت لهم الدولة التونسية مثل الرائد محمد بالحاج عمر الذي أصبح ملحقا بوزارة الحرب، وكان مترجما لعدة كتب عسكرية والعربي رزوق الذي أصبح رئيسا للمجلس البلدي والمدرسة الصادقية ثم محمد القروي الذي تولى بعض المناصب الإدارية الهامة[3] .

تعرضت المدرسة في عهد الصادق باي لمصاعب عديدة همها:

موت مديرها داي ناقارن الذي بعث فيها الروح– بالرغم من أن فرنسا كلفت الرائد كمينون الذي حاول ان يعيد النظام للمدرسة لكنه اصطدم مع الوزير الأكبر مصطفي خزنه دار واقيل من مهامه، وانسحب معه المعلمون الفرنسيون بسبب تأخر أجورهم، فألغيت المدرسة لان ميزانيتها ارتفعت إلى 50 ألف ريال[4] .

[1] ابن ابي الضياف، المصدر السابق، ج4، ص 282.

[2] الشيباني بنبلغيث ، المرجع السابق، ص،ص 96-98.

[3] نفسه ص 99.

[4] نفسه،ص101.

وبعد دراستنا لاحظنا ان اللباس هو الاخر طرأت عليه بعض تغيرات وذلك تنمية لولع أحمد باي بتقليد النظم الأوروبية فيما يخص الجيش ،فقد أدخل تغيرات في اللباس العسكري ، ولن بين النوع القديم ،الا القبعة التركية مزينة بصفيحة ورباط من الجلد تحت الذقن، وهذا بالنسبة لجنود المدفعية و الخيالة.

ومن سنة 1864 أبدل الصادق باب لباس جزء من العسكر النظامي بلباس كان قريبا من اللباس، الإسلامي مأخوذا عن الزي الفرنسي بالجزائر [1]. وكان هذا التغير مجلد تقليد وليست له أية ضرورة خاصة أنه كان مرتفع الثمن[2].

وقد استمر تشكيل الوحدات العسكرية النظامية، التي أحدثها ونظمها أحمد باي في عهد هـ ثم خلفه الصادق باي وذلك بالرغم من سياسة التنقيص، وقد تكون الجيش من قسمين أساسين هما:

الجيش النظامي بفرعيه البري والبحري.

الجيش غير النظامي، المكون من فرق مختلفة [3].

- **1. الجيش النظامي:**

الجيش الذي بدأ تنظيمه أحمد باي ويقصد به الجنود الذين انتظمو بالجندية ويعملون تحت السلاح ويسكنون الثكنات ويتقاضون رواتب ويقومون بالحراسة في الأبراج

[1] الشيباني بنبلغيث،المرجع السابق،162.

[2] إبن أبي الضياف، المصدر السابق، ج6،ص71-72.

[3] الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق،ص 113.

والقتل، وقد تقلص عدد الجنود النظاميين منذ عهد محمد باي واستمر ذلك في عهد الصادق باي، الذي لم يبقي أكثر من 4000 جندي، وبقي بتسريع الجنود حتى أصبح نصف العدد أي 2000 سنة 1863، يعمل بصفة مستمرة ويعمل بالتناوب لمدة ثلاثة أشهر وقد تركب الجيش من قسمين، الجيش البري والجيش البحري.

- **2. الجيش البحري:**

العسكر البحري الجنود الذين يحرسون السواحل في مراكب حربية بحرية تونسية، وهم جزء من الجيش النظامي لا أن محمد باي لم يوفق في إقامة بحرية تونسية، لان تكاليفها كانت باهظة وكذلك صادق باي لم يوفق لكونه عزوفا عن أمور الدولة وشؤون الجيش بصورة عامة وجيش البحر بصفة خاصة.

فكانت الدولة التونسية تفتقر لأبسط التجهيزات العسكرية وكذلك القيادات، فكانت تملك قطع حربية تتراوح بين 20 قطعة حربية[1].

لذلك اضطرت الدولة لشراء فابور لنقل المهمات العسكرية، ثم عقدت اتفاقا سنة 1865 لشراء فابور لحراسة الشواطئ وقد وقع اتفاقا أخر في صنع "فابور" في بوردوشة 1864. رغم التكاليف الباهظة، وهذا يعكس قلق الدولة من حالة الاسطول المعطل فحاول ترميم واصلاحه.

[1] الشيباني بنبلغيث،المرجع السابق، ص132.

المبحث الثالث:

الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية.

المطلب الأول: اصلاحات في الميدان الاجتماعي.

المطلب الثاني: الإصلاحات الاقتصادية.

المبحث الثالث: الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية

المطلب الأول: اصلاحات في الميدان الاجتماعي

قامت الاصلاحات اجتماعية على عنصرين مهمين عند خير الدين وهما:

إصلاح التعليم، اصلاح القضاء والأوقاف ، باعتبارهما من أهم الركائز الاجتماعية، فقد أدخل أساليب أوروبية لتنظيمهما بما يتنافى مع الدين وبما يستجيب للحاجات الاجتماعية للأفراد.

أ -إصلاح التعليم

كانت الأوضاع الثقافية في تونس في تلك الفترة تقوم على أسس تقليدية، هدفها تلقين المتعلم ما يمكنه من فهم دينه واكتساب لغة القرآن، ولم تعرف هذه الحياة التعليمية الثقافية اهتمام من طرف السلطة إلا في عهد أحمد باي الذي أعطى أهمية للجانب التعليمي، بحيث وجّه عنايته للعلم الشريف وأعان طلبته بما بقي أثره، وطاب في الآفاق خ ـبره وهو أنه اشترى سائر كتب الوزير حسين خوجة المبيعة عليه في الدين، وأضاف إليها الكتب الموضوعة في خزنة أسلافه بجامع بيت الباشا، وقال: "وضعها هنا لا فائدة فيه إلا المباهاة".

ولما جمعها أمر أهل المجلس الشرعي وأعيان المدرسين بالاجتماع في الجامع الأعظم وأمر ابن أبي الضياف بإيصال الكتب من قصره إلى الجامع، بحيث وجه العسكر ليحملوا الكتب، ورتب لها وكيلين يأتي كل واحد منهما للجامع يوم يلي على التناوب، لمناولة الطلبة ما يحتاجونه وبذلك سهل طريق العلم على الفقراء وحتى الأغنياء، وكان ذلك في

1256هـ، بحيث أنشأ حدائقها ورياضها، وأجرى جداولهاوحياضها، وأصاب شواكلها وأغراضها، نسخ على غير مثال.[1]

وبعدها خطب الشيخ العصر أبو إسحاق ابراهيم الرياحي على منبر الجامع الأعظم وقال: "الحمد لله الذي رفع الذين أوتوا العلم درجات، كما خفض لأهل الجهل دركات أفمن جعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات..."،

وفي الحديث الشريف قال: " العلماء ورثة الأنبياء"، وأيضا قال: "فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة"، وقال تعالى: "إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء إن الله عزيز غفور" صدق الله العظيم.[2]

كما أيده في هذا الأمر الوزير المصلح خير الدين باشا عندما تولى الوزارة الكبرى، وذلك في عهد أحمد باي الذي كانت علاقته حسنة مع السلطان العثماني الذي اشتهر بميله للعلم وإنشاء المدارس، والانفتاح على المدينة الأوروبية.[3]

شهد قطاع التعليم في عهد خير الدين التونسي نهضة حقيقية حيث أنه اتجه إلى جامع الزيتونة فأصلح التعليم فيه بعد أن كان نسخة طبق الأصل عن التعليم في الجامع الأزهر، كما أنه أسس مدرسة حديثة دُرست فيها علوم العصر ومعارفه، وأنشأ مكتبة ضخمة وعامة بعد أن ضم مكتبته الخ اصة إليها، وقد كانت تحوي أكثر من ألف ومئة كتاب مخطوطا.[4]

---

[1] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص50.

[2] ابن أبي الضياف، المرجع السابق، مج2، ج4، ص51.

[3] سمير أبو حمدان، المرجع السابق، ص23.

[4] نفسه، ص46.

كما أنه أدرج العلوم الحديثة واللغات الأجنبية، وتطوير الطباعة بحيث أنه من الجدير بالإشارة في الرؤية الإصلاحية التي صاغها خير الدين باشا و جمعها التوفيقي بين الأصالة من جهة والانفتاح من جهة أخرى، إذ تدعو أفكاره إلى التجديد والاجتهاد في الشريعة الإسلامية بما ينسجم وملابسات العصر.[1]

كما عزز خير الدين الإصلاح والتنظيم بإحداث ثلاث وظائف: مستشار للمعارف بالوزارة الكبرى، وتعيين نائبين لهذا المستشار بالجامع الأعظم، وبهذه الطريقة تمكنت الدولة من مراقبة التعليم، وصار تحت مراقبة خير الدين بنفسه، وقسم التعليم إلى ثلاث درجات اقتداء بالدول الأوروبية وهي المرحلة الابتدائية فالثانوية فالعالية.[2]

أنشئت المدرسة الصادقية[3] في 13 جانفي 1875م، وأولى خير الدين إدارتها لمحمد العربي زروق[4] لما يتحلى به من خصال ولتكوينه العلمي المتين، وسميت بالصادقية نسبة إلى الباي محمد الصادق، وكانت أول مدرسة على الطراز الحديث تدرس فيها العلوم العربية والشرعية بالإضافة إلى الثقافة العصرية.

---

[1] **مذكرات خير الدين باشا**، تح تع، محمد العربي السنوسي، بيت الحكمة، تونس، 2008، ص5.

[2] عبد القادر دوحة، **الاصلاحات الثقافية والعلمية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19 م، وعلاقتها بالحضارة الغربية والعلمية لخير الدين** ، **الاصلاحات الثقافية** ، جامعة خميس مليانة، ع8، ص85.

[3] ينظر الملحق: ( ) المدرسة الصادقية ،احمدالطويلي،**الصادقية خير الدينمؤسساومحمدالعربي زروقمديرا** ،تق:فؤاد المبزع،ص13.

[4] محمد العربي زروق، ولد في 29 أكتوبر 1822 وتوفي في 17 جوان، 1902، تخرج من المدرسة الحربية بباردو برتبة ملازم ثم ترقى إلى أن صار أمير لواء (جنرال) كان في تاريخ تأسيس المدرسة الصادقية رئيسا للمجلس البلدي في العاصمة التونسية، تولى إدارة هذه المدرسة من إنشائها إلى ماي 1881، ينظر لأحمد الطويلي: **نفسه**، ص19.

وقد تضمن برنامج التعليم بالمدرسة تلقين اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم والحديث وعلوم الدين وفق المذهبين المالكي والحنفي، ومن علوم العربية النحو والصرف والمعاني والبديع والأدب والتاريخ الإسلامي والأخلاق،

وقام بالتدريس فيها مجموعة من أعلام جامع الزيتونة، أما اللغات الأوروبية اقتضى تعليم اللسان التركي واللسان الفرنسي واللسان الإيطالي، وأيضا تعليم العلوم العصرية كالتاريخ العام والجغرافية ورياضيات الحساب والجبر والمقابلة والهندسة والطبيعة والكيمياء وعلوم الصحة والنبات والفلاحة والأنظمة السياسية، وذلك من قبل أساتذة فرنسيين، وتعليم اللغة التركية استحضر له أساتذة من الأستانة مثل علي رضا أفندي[1].

كما أنشأ خير الدين إقامة خاصة لتلاميذ بالمدرسة توفر الأكل والملبس والمسكن.[2]

أما المكتبة "العبدلية" التي ذكرناها سالفا فهي مكتبة على النمط الحديث من حيث ترتيب الكتب ووضع فهارسها ومحتوياتها وطريقة تداولها بين القراء.[3]

كما قام بتحسين مطبعة الدولة ووكل إليها نشر الكتب العلمية والأدبية وشجع على نشر المقالات فيه وكان ينشر فيها أفكاره السياسية التي ألزم الموظفين بقراءتها.[4]

لم تلعب الطباعة دورا فعالا منذ تأسيسها في تونس كما اصبحت عليه في عهد خير الدين فمنذ تاريخ تاسيسها سنة 1860 م لم تطبع إلا 68 كتابا في حين عرفت في فترة حكم خير الدين ارتفاعا ملحوظا فقد بث فيها النشاط، وربط تونس بمركزي النشر الهامين

[1] محمد بن الخوجة، المرجع السابق، ص311-312.

[2] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص89.

[3] عبد الرزاق خلف محمد الطائي، "**خير الدين التونسي ومشروعه النهضوي**"، دنيا الوطن، 21-5-2010، ص5.

[4] أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دار الكتاب العربي، لبنان، ص169.

في العالم العربي وهما بيروت والقاهرة فكثرت المراسلات والمبادلات واتسع باب جلب الكتب المطبوعة من الشرق إلى تونس، كما أن رغبة خير الدين في معرفة إنجازات حكومته داخليا وخارجيا دفعه إلى بعث جريدة "الرياض التونسي" بحيث أصبحت قناة تواصل بين الحكومة والشعب بالإضافة لدورها التربوي.

تصدر بصفة دورية بفضل جهود محمد بيرم ومحمد سنوسي، كما استغل خير الدين الصحافة لأغراض سياسية، ويظهر ذلك من خلال مقاله "حماية المحتمين" التي حث فيها على التسامح في معالجة وضع الأقليات الغير إسلامية وذلك لكسب ودّ الدول الغربية.[1]

ب- إصلاح القضاء والأوقاف

كان النظام القضائي في تونس تقليدي يتميز بعدم التنظيم، حيث لم ين للمحاكم مقرات دائمة ولا تنظيم متدرج، ولا إجراءات معروفة ومحدودة، ولا قانون ثابت، [2] وفي 13 نوفمبر 1856م جمع الباي رجال دولته وأتى دار الشريعة التي كانت ديوان جند الترك، بعد أن تم إصلاحها وتلقاه أهل المجلس الشرعي ووقف أمام بيت الحكم وقرأ خطبة بليغة على لسان شيخ الإسلام محمد بيرم وبعد تمامها دخل بيت الحكم ومعه العلماء وأذن للخصوم فدخلوا، وانفصلت نوازل، ثم قرأ الفاتحة وخرج، وحجر على جميع ولاة الشرع الحكم بهاته الدار جمعا لكلمة الشريعة.[3]

[1] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص ص89-90-91.

[2] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص 213.

[3] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص221.

كما أن الوضع المتدهور للقضاء التونسي، دعا خير الدين إلى ضرورة الإصلاح، وكانت فرصته أثناء وجوده بباريس للدفاع عن مصالح تونس في قضية "محمود بن عيادة".[1]

وهو الأمر الذي نبهه أكثر إلى الهياكل المنظمة للإدارة القضائية الفرنسية، فأعجب بالتشريعات الأوروبية المقننة، والاجراءات المتبعة في العمل القضائي محاولا أخذ ما يصلح منها تجسيده في تونس.[2]

كما أعاد تنظيم القضاء الشرعي بإنشاء مجلس للحكام الشرعيين في العاصمة تونس بتشكل من قاض حنفي ومثله ما لكي، ومفتيان حنفيان وخمسة مالكية ورئيس للحنفية يلقب بشيخ الإسلام.[3]

كما استغل خير الدين وظيفته كوزير سنة 1870م، وكوزير أكبر سنة 1873 فأنجز الكثير من الأعمال التي ساهمت بدورها في تحسين مجالات القضاء وهي كالآتي:

تأسيس محكمة الوزارة لما أصبح وزيرا مباشرا، وهي عبارة عن قسم من أقسام الوزارة الكبرى تهتم بالنوازل (الفتاوى) غير أنها كانت تحضيرية فقط تحضر القضايا لتعرض على الباي لتوقيعها، والجديد فيها يكمن في إحداث دائرتين مدنية وجنائية.[4]

تأسيس محكمة الأحبار: وهي محكمة خاصة باليهود تطبق فيها تشريعاتهم الخاصة إنشاء مجلس مختلط، أول محكمة مختلطة للتجارة وذلك لتعويض المحاكم القنصلية، التي كانت تشكل خطرا واضحا على السيادة الداخلية والخارجية للدولة.[1]

---

[1] عبد القادر دوحة، المقال نفسه، ص213.

[2] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص213.

[3] نقولا زيادة،**تونس في عهد الحماية–الاعمال الكاملة**،الاهلية لنشر وتوزيع،ص67.

[4] بنبلغيث شيباني، **النظام القضائي في البلادالتونسية (1857–1927)**،مكتبة علاء الدين، صفاقص، ص268.

كما قام خير الدين بتشكيل نخبة من العلماء ورجال الدين محددا لهم مهامهم، وخلصت اللجنة إلى إعداد نظام للحكم اشتمل على ستين فصلا ينظم مختلف الجوانب القضائية، وأعطى لمحكمته الشرعية بالحاضرة النظر في قضايا المحاكم في المدن الأخرى.[2]

وهو ما يمكن اعتباره عملا جديدا بناء على تأثيرات أوروبية الهدف منها توحيد القوانين في كامل القطر لتحقيق المساواة، وهكذا أصبحت دار الشريعة بالحاضرة طبقا للترتيب المذكور المرجع الأخير لأحكام قضاة المدن، وهو ما يفتح المجال لدخول مفهوم الاستئناف.

كما أعطى صلاحيات خاصة لمحكمة الحاضرة، منها الاختصاص في الجرائم وإحضار المتهمين، يضاف إلى ذلك أن الترتيبات الجديدة أعطت للمفتيين سلطات إضافية كنيابة القاضي والمفتي في عملهما لتسهيل التقاضي.

أما فيما يخص مهنة عدول الإشهاد فقد قام خير الدين بتنظيمها [3] وفق منشور صدر سنة 1874م اشتمل على ستة عشر فصلا منظما لما يمكن أن يكون عليه الشهود وشروط الولاية وضبط أسمائهم وتاريخ ولايتهم.[4]

أما القوانين العرفية فقد تم ترتيبها هي الأخرى ترتيبا يتماشى مع ضروريات الوقت، فقد تم تقنين عرف الفلاحة والخماسة وتحسنت العلاقات بين الفلاح والخماس، كما اعتمد قانون الجنايات على العرف المحلي المتبع حتى إنه سمي بقانون الجنايات والأحكام

---

[1] بنبلغيث الشيباني المرجع السابق، ص270.

[2] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص215.

[3] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص215-216.

[4] بنلغيث الشيباني، المرجع السابق، ص309.

العرفية، فلم يقتبس من القوانين الأوروبية مراعاة لعاداته وعلاقاته الاجتماعية، فقد كان اقتباس التقنيات فقط.[1]

وأصدر خير الدين قانونا خاصا بالشرطة وحارسي السجون، وأنشأ سجنا للنساء وآخر للرجال، ضبط فيه سلوك الحراس، وشروط نظافة المكان.[2]

إصلاح الوقف:

كما فرض انتشار الوقف وتنوع أصنافه وأهمية مداخيله ووجود هيئة تشرف عليه وتسيره تتكون من مجموعة من الموظفين، الذين أصبحوا يشكلون شريحة اجتماعية تستمد صلاحيتها من الأحكام المتعلقة بالوقف، والتي يعود النظر فيها إلى المجلس الشرعي، ومن هنا يبرز لنا بجلاء مدى ارتباط الوقف بالنظام القضائي للدولة.[3]

واتجه خير الدين إلى الأوقاف، وبالأحرى إلى ما تبقى منها، فنظم عملية شرائها وبيعها ووضع إدارتها في عهدة رجل ثقة وهو محمد بيرم، وإلى جانبه مجلس يعاونه من الرجال المشهود لهم بالكفاءة والنزاهة.[4]

كما أن في هذه الفترة الدستورية عمل خير الدين على إصدار منشور سنة 1858م لكنه كان محدودا فيما يخص مراقبة الحسابات رغم أنه أسس لإدارة مركزية للأوقاف العمومية.

---

[1] عبد القادر دوحة، المقال السابق، 2015.

[2] أحمد الطوبلي، **بناة الدولة التونسية الحديثة (حمودة باشا وأحمد باي وخير الدين)**، ط1، المغاربية للطباعة وإشهار الكتاب، تونس2019، ص50.

[3] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص219.

[4] سمير أبو حمدان، المرجع السابق، ص46.

دعم هذا المنشور بمنشور جوان 1860م، والذي أعطى للإدارة حق مراقبة الأوقاف أما منشور جويلية 1860م، فقد حدد دور الحكومة في التفتيش، والمراقبة بالإضافة إلى ايفادبتقرير سنوي للحكومة عن حالة الأوقاف العامة غير أننا نلمس رغبة خير الدين في محاولة توجيه الوقف وجهة اجتماعية خالصة منذ تأسيسه لجمعية الأوقاف، واعتراضه على أن يصرف فواضل الأوقاف في الشؤون العسكرية.[1]

كان إنشاء جمعية الأوقاف بناء على منشور 1874م، والذي فرض على أن يكون على رأس الجمعية مجلس إدارة يتكون من رئيس ونائب رئيس وعضوين، وحظيت هذه الجمعية بناء على المنشور المذكور بالاستقلالية عن السلطة السياسية واحتفاظها بالوصاية عليها، ولها رئيس ونائب وعضوان وواحد وعشرين 21 وكيلا كلفوا بمراقبة العقود بصفة دورية في إطار مهام التفتيش، ويروي بيرم الخامس الذي تولى إدارة هذه الجمعية بأن خير الدين قد عين "تقاة" لتقويم وتقدير ما يكفي لإصلاح الأملاك الموقوفة، والذي تم تقديره بحوالي "ثلاثة ملايين ريال أقيمت بفضلها الجوامع والمساجد، وما يبين لنا نجاح خير الدين في سياسته هذه هو ارتفاع المداخيل السنوية، وهو ما أكده بيرم الخامس بقوله:" كان دخله في السنة الأولى من مباشرتي وهي سنة 1876م حوالي مليون ومائتي ألف ريال، وما نستخلصه بالإضافة إلى أهمية الوقف في تعزيز المرابطة الروحية، تكمن أهميته أيضا فيما جعل له من أثر على الحياة الاجتماعية.

فمن مداخيله ينفق على السلك الديني والطلبة، ولذلك كان الوقف يشكل المصدر الوحيد لرعاية الخدمات الثقافية والدينية، وشمل عدة مجالات مثل الإحسان إلى الفقراء

[1] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص219-220.

وتقديم العون، وتوزيع الصدقات، وزيادة على ذلك فإن العناية بالوقف ساعدت على توسيعه وانتشاره بما يؤدي ذلك إلى تمسك الأسرة التونسية.[1]

حقوق الاقليات اليهودية :

يعود ظهور اليهود في البلاد الافريقية ان بعض البربر قد كانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني اسرائيل بعد استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانهم منهم ، كما كان جرأة اهل جبل الاوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح ، وكانت نفوسة من برابرافريقيةوقندلاوة ومديونة وبهلولةوغياتة وبنو قزان من برابرة المغرب الاقصى .[2]

لم تتغير خريطة التوزيع الجغرافي لليهود بالبلاد التونسية كثيرا في الفترة الحديثة عما كانت عليه خلال العهد الحفصي بالاستثناء بزور بعض الاماكن بداخل البلاد مثل زغوان وتستور التي استقر بها عدد قليل من اليهود الى جانب الموركسيين اثر حملات التهجير من شبه الجزيرة الايبيرية ، حيث قدرت طائفة اليهود بين 60 ألف سنة 1829 و 100 ألف بعد ثلاث سنوات ، حيث تعدد المصادر في تعداد اليهود من خلال احصاء العقارات (1849-1850م) حيث يعطي هذا المصدر قائمة المنازل التي يقظت بها أفراد الطائفة اليهود.[3]

---

[1] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص220-221.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون ، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان** الأكبر ، المجلد 6، ج11، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1985 ، ص214.

* **زعوان** : تقع شرق تونس العاصمة ، يربطها بها خط حديدي ، المرجع ، شوقي عطا الله الحمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ط1، مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة ، 1988،ص 299.

[3] رضا رجب ، عبد الحميد الأقرش ، **يهود البلاط ويهود المال في تونسالعثمانية (1685-1857)**، ط1، دار المدار الاسلامي ، 2010،ص ص71-72.

مارس اليهود مختلف الانشطة الاقتصادية كالأنشطة الحرفية والتجارية ولم يقتصروا على ممارستها داخل حارتهم بل تواجدت وازدهرت خارج هذا الفضاء ، ويكفينا دليلا على ذلك سوق الباي وسوق الفرانة وسوق الصاغة التي اعتمرت بالتجار والحرفيين من اليهود وفرضوا فيها نسق عملهم [1]، حيث لاقى اليهود مكانة مهمة داخل البلاد التونسية فلقد كان لهم نفوذ في جميع المجالات ، اضافة الى احتكار بعض العائلات المناصب داخل بلاط الحكم ، وقيامهم بتسيير بعض مصالح البلاد ، اضافة الى وطأتهم مع الأطراف الخارجية والتي كانت تساندهم في تحقيق أهدافهم.

تضمن عهد الأمان الذي صدر 1857 حفظ لحقوق الرعية وأمنهم على ممتلكاتهم وكرامتهم ، كما يضمن تحقيق العدالة والمساواة الكاملة بين الافراد في الحقوق والواجبات حيث تجلى النفوذ الأجنبي في مواد هذا الامان ، فهناك التأكيد على المساواة بين أهل الذمة وأهل البلاد اذ ان الاسلام قد تناول هذه الامور بالتفصيل وأكد حقوق الذميين وصلتها ، وكذلك منح هذا العهد أثناء الجاليات الاجنبية حقا مطلق في الاتجار وامتلاك العقار والاراضي ، ولا اختلاف بينهم وبين أهل البلاد في تلك الحقوق .[2]

المطلب الثاني: الإصلاحات الاقتصادية

في الوقت الذي كانت فيه تونس في منتصف القرن 19 فوضى في شتى الميادين، دخل خير الدين مسرح الأحداث السياسية في الدولة محاولا التأثير في مركز صنع القرار، كما حاول البحث عن مصادر الثروة بش تى الطرق والوسائل لتجسيد بعض أفكاره

[1]. رضا بن رجب ، المرجع السابق ،ص 93.

[2]. اسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص345.

الاقتصادية، وذلك بإدخال إصلاحات عميقة في الميدان الفلاحي والصناعي والتجاري والمالي، فقد ربط بين السياسة والاقتصاد.[1]

أ الزراعة:

كما يعتمد الاقتصاد التونسي على الزراعة بالدرجة الأولى بسبب وفرة الأراضي الزراعية الخصبة والمناخ الملائم الذي يساعد على تنويع المحاصيل والإنتاج، فقد كانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل حيث كانت أغلب زراعة الأهالي هي الحبوب، منها القمح الصلب والشعير والبقول والخضر بالإضافة إلى الأشجار المثمرة مثل الزيتون.[2]

وفي سنة 1273هـ، أعلن الباي منشوره في شأن الفلاحة وهي من أهم إنجازاته، وذلك أن ثروة البلاد على قدر ما يخرج من محصولاتها للغير.[3]

كما بادر خير الدين بتوجيه تعليمات مهمة عبر المناشير التي كان يصدرها والتي تلزم جميع الهيئات والسلطان بإعطاء أهمية كبيرة.[4]

التنمية النشاط الفلاحي، ترجمت هذه التعليمات ميدانيا بقيام القياد في مختلف المناطق بتحديد مساحة الأرض المزروعة، وإيفاد تقارير عن أسباب توسع أو تقلص المحاصيل

[1] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص202.

[2] أبو تو قرماس حفيظة، المقال السابق، ص291.

[3] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 2،ج 4،ص224.

[4] عبد القادردوحة، المقال نفسه، ص204.

الزراعية، و بالإضافة إلى اطلاع الحكومة بك ميّة الأمطار في قيادتها يوميا وتحديد احتياجات كل منطقة من المياه[1].

كما أنه في سنة 1274هـ -1857م، جعل الباي ترتيبا لعشر الزيت من الحاضرة وقد كان صاحب الزيتون لا يعصر زيتونه كما يراد منه، وكان الفلاح يدفع نحو الخمس أو الربع فحسم هذا الأمر، وذلك بكتابة منشورا لمشايخ الحاضرة، وكافة أرباب الزيتون، ونظر في عشر الزيتون وأسقط سائر ما اعتيد على المعاصر من المسمى بالحقوق، والسخارة والصرفةوبوقال الرسم، بحيث لا يؤدي من زيته إلا جزء العاشر [2].

كما سعى خير الدين التونسي إلى تبني نظام إحصائي لعملية الإنتاج وذلك بتحديد حجم المساعدات التي يمكن تقديمها إلى الفلاحين، وفي هذا الإطار قام بتعديل الضرائب الفلاحية بعد أن رأى أنها أضاعت الزراعة، فلم تكن إلا صيغة لاستيلاء الدولة وبعض رموزها على خيرات البلاد.[3]

كما تم اسقاط من جبايةالزيت قدر النصف، وبنيت بعد هذا معاصر وأقبلت على غراسة الزيتون، لاسيما بمرناق، وازداد في الغابة كثيرا من أصوله.[4]

وقد لخص لنا "بيرم الخامس" الإجراءات الجبائية التي اعتمدها خير الدين بعدما أمسك بزمام الأمور: فبالنسبة للضرائب المفروضة على الحبوب يقول بيرم " ...أنه حصرها في عشر كل ماشية أي ما يحرثه الرجل الواحد في السنة بحسب كل جهة

[1] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص204.

[2] ابن أبي الضياف، المصدر السابق،مج2،ج4، ص250.

[3] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص204.

[4] ابن أبي الضياف، المصدر السابقمج2،ج4، ص252.

وبذرها..."، أما إذا أثبت صاحب الزرع ما لحق بزراعه جراء كوارث طبيعية، وأمراض فإنه يسقط عنه مقدار ما ضاع له.

كما قام بتخفيض "ضريبة النخيل" فجعل على كل شجرة من نوع الدقلة "ريالا ونصف وعلى بقية أنواع النخيل ستة خرارب".

كما أصدر قانون الخماسة عام 1874م، وذلك بضبط كل ما يتعلق بشركة الخماس والفلاح وفق ترتيب معروف يعتمد عليه القضاة والمتقاضين.

احتوى هذا الترتيب على 73 فصلا، اختص الجزء الأول منه في الفلاحة وكراء الأرض، أما الجزء الثاني لواجبات كل من الفلاح والخماس وحقوق كل منهما وطبيعة علاقتهما.

إن قيام خير الدين بتقنين العمل الفلاحي يبين بوضوح حرصه على إعطاء أهمية كبيرة للعنصر البشري.[1]

ب - الصناعة:

لقد كانت الصناعة في تونس عبارة عن نشاطات تقليدية ذات صيغة صناعية، وبالرغم من هشاشتها إلا أنها دخلت في مواجهة حاسمة مع المنتوجات الأوروبية التي تتسم بالجودة، وانخفاض الأسعار، وهذا ما أدى إلى تقهقر وزوال بعض الحرف فأثر ذلك سلبا على مساهمة القطاع في مالية الدولة.[2]

يعتبر حمودة باسا من البايات الجيدين الأوائل الذين حاولوا النهوض بتونس، من خلال إصلاحاته التي مست مختلف المجالات منها الصناعة بحيث حاول إعادة الاعتبار

[1] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص ص 204-205.

[2] نفسه، ص ص 206-207.

للصناعة المحلية، وكانت البداية منه عندما رفض أن يستمر في ارتداء الطيلسان المستورد، وأمر أن يأتوا له بطيلسان من إنتاج محلي، بحيث أصبح الباي لا يتباهى إلا بما تنتجه البلاد، وما يصنع من حرير وصوف، كما كانت صناعة الشاشية لوحدها رائجة أنذاك دون منازع، برواج أكثر من تلك المصنوعة في أوروبا بالإضافة لصناعة الحرير، والصناعة النسيجية، فحسب ابن أبي الضياف

" كان يتواجد بتونس مناطق تهتم بصناعة النسيج مثل سوسة والحمامات...إلخ"

بالإضافة لصناعة العطور، فقد أعجب الرحالة والتجار مثل مجيل يصف عطر تونس انها كانت من النوعية الممتازة وهي من أهم المنتوجات التي تصدرها تونس إلى الخارج وبأثمان رخيصة تقدر ب 5 بياسر فقط.[1]

كما قام خير الدين التونسي بإصلاحات في مجال الصناعة وذلك ب:

إنعاش قطاع الصناعة بتوفير جو من الحر يةة، وتطهير الوعاء العقاري الحضاري الذي كان تحت سيطرة الأجانب الذين استولوا على مختلف العقارات الحضارية بلا وجه حق،

أم الجانب الآخر الذي اتخذه خير الدين فهو تنظيم العلاقة بين الحرفيين وأرباب العمل والهيئات التي تنظم نشاطاتهم، وذلك بتقنين العادات والتقاليد التي تنظم الحياة الاقتصادية، والحرفية في تونس، حيث نقل خير الدين الصناع التونسيين من مجال الأعراف والتقاليد إلى مجال القانون.[2]

[1] محمدي رزيقة، **الاصلاحات الاقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا (1782- 1814)**، كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة الجزائر، ع30، 2016، ص ص 92-93.

[2] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص207.

كما عمل على إحياء الصناعات التقليدية، وذلك بتوسيع مجال ممارسة الصناعات المغربية كالنقش على الجص والقباب، بحيث كان يأتي بمهرة الصناع من البلاد ويعهد إليهم بتعليم طائفة من الشبان.[1]

كما حارب خير الدين الغش في المنتوجات، وذلك بإخضاعها لمقاييس معينة، بعد قيامه بتوحيد المكاييل، وقام بإبدال العملة الفضية بالعملة الذهبية الكاملة، حيث حدد قيمة معينة للعملة بعد التلاعب فيها من طرف مصطفى خزندار، الذي كان يتحايل لتحقيق ثروة شخصية وهذا جشع التجار للمزيد من العمل لتحقيق الثروة، حيث أن حركة النقود لدى خير الدين هي المؤشر على استقرار الاقتصاد.

يشير "بيرم الخامس" إلى قيام خير الدين بإنشاء معملا لما تحتاج إليه السفن من الأدوات الحديدية والخشبية الضرورية، وإعادة بناء ميناء حل ق الوادي الذي يعتبر أعظم ميناء في القطر التونسي في تلك الفترة، إلى جانب إحداث طريق صناعي بين تونس وحمام الأنف طوله كما يذكر صاحب الصفوة اثنتي عشر ميلا، والذي لعب دورا في التواصل بين العاصمة والمناطق الأخرى، بالإضافة إلى معمل للغاز، والذي أنشأه خير الدين مع لجنة انجليزية، حيث حققت هذه الإجراءات حماية المنتوجات الصناعية من الداخل والخارج.[2]

ج- التجارة:

في الوقت الذي كان فيه حمودة باي مشغولا بإصلاحاته العسكرية، لم يغفل عن أمر الاهتمام بالموانئ التي كان لها دور كبير في المجال التجاري، فسفن بحاجة إلى موانئ

[1] أحمد أمين زعماء ،**الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948، ص169.

[2] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص ص 207-208.

لترسوا فيها: من بينها ميناء حلق الوادي وغار الملح، وهدف حمودة باشا من إصلاحهما هو إعادة النشاط إلى المدينة.

عزم الباي حمودة على إصلاح مينائي حلق الوادي وغار الملح يظهر جليا في الرسالة التي بعثها القنصل الفرنسي "دي شاتونافا" إلى حكومته سنة 1791م يخبرهم أن الوزير مصطفى خوجة يطلب من الحكومة الفرنسية الترخيص لحكومة تونس لحصول الأخيرة على الأجهزة والمعدات اللازمة، ومعها عمال يديرون الآلات كما استغل كل الظروف الملائمة لتنشيط الجهاد البحري في البحر المتوسط، وحماسه يدفعه إلى شن حروب ضد الدول التي لا يرتبط معها بمعاهدة سلام، ويذكر لنا القنصل البريطاني "ماجرا" أن حمودة باشا كان يبني سياسته التجارية تجاه أوروبا على أساس الخلاف الذ ي كان بينهما.

أراد حمودة باشا من خلال محاولته هذه التخلص من الهيمنة الأوروبية على التجارة الخارجية، لذلك أراد من خلال إصلاحاته أن يوجه التجارة إلى عاتق الأهالي التونسيين الذين بقوا طويلا بعيدين عن ميدان التجارة الخارجية ،منهمكين في أشغال الزراعة والتجارة المحلية، بحيث من مظاهر مساندة حمودة للتجار، القروض التي كان يوفرها لهم الوزير صاحب الطابع.[1]

كما بدأ خير الدين التونسي إصلاحاته بتنظيم التجارة الداخلية بمنع بيع السلع خارج الأسواق والمحلات المخصصة لها بغية إيجاد نوع من التنافسية مع السلع الخارجية، كما شجع المصدرين برفع الرسوم الجمركية المفروضة على السلع الأجنبية من 3%إلى 8% وخفضها بالنسبة للصادرات،

[1] محمدي رزيقة، المقال السابق، ص ص 39-96.

إذا بمقتضى هذه الإجراءات أصبحت رسوم تصدير الصابون سنة 1876 م أربعة ريالات للقنطار بدل سبعة أي بتخفيض قدره حوالي خمسين بالمائة، وحوالي 60% بالنسبة للصوف، وارتفعت رسوم تصدير الأغنام إلى 70% وهذا كله دليل على الوعي العميق لدى خير الدين بمختلف الأنظمة الجبائية التي تعتمدها الدول الأوروبية لحماية انتاجها الداخلي في وجه السلع الأجنبية.

كما قام بضبط قائمة الموارد التي يمكن أن تصدر وحدد كميتها، مثلا في سنة 1875 م وفيما يخص ميناء صفاقس سمح خير الدين بتصدير مائتي ألف قنطار من المواد الفلاحية، وذلك بعد قيامه بإحصاء الإنتاج الكلي وتقدير الاحتياجات الداخلية من المواد الاستهلاكية للمحافظة على الأمن الغذائي للدولة، وتجنبا للاضطرابات والثورات، وهذا ما يعبر عن تأثر خير الدين بالأفكار الأوروبية في هذا الجانب.

التفت خير الدين كذلك للاستيراد غير الشرعي، وقام بإنشاء هيئات مختصة بمراقبة الموانئ إضافة إلى مراقبة نشاطات القبائل الحدودية، أي بربط حزام جمركي فعال.[1]

اعتبر خير الدين النظام المالي الركيزة الأساسية في اقتصاد الدولة باعتباره العصب الذي تقوم عليه بقية الجوانب من فلاحة وصناعة وتجارة، بحيث قام هذا النظام على ركيزتين أساسيتين:

الركن الأول يتعلق بطرق تحصيل الموارد المالية، أما الركن الثاني يتعلق بكيفية استغلال وتوزيع تلك الموارد على مختلف القطاعات في الدولة، وقد اعتمد خير الدين في ذلك كله على ماعاينه في بلدان الغرب الأوروبي.

[1] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص209

كما أصدر خير الدين التونسي منشورا سنة 1292هـ، 1877م، موجها للقياد يلزمهم أيضا بتقديم الوصلات إلى دافعي الضرائب، وأوقف المحلات السنوية التي كانت تقوم أساسا على القوة والعنف وحل محله ذلك الشعور الذي حاول خير الدين غرسه في الأفراد وهو المواطنة، وهذا ما استلهمه من خلال احتكاكه بالأوروبيين.[1]

[1] عبد القادر دوحة، المقال السابق، ص ص 207-211.

خاتمـــة

خاتمة:

من خلال دراستنا لهذا الموضوع استنتجنا ما يلي:

. شهدت البلاد التونسية خلال القرن 19 أوضاعا متدهورة مست مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية التي أثرت بطريقة مباشرة على الأوضاع الاجتماعية ، حيث برزت ونمت الحركة الإصلاحية التي هدفت إلى إعادة القوة لدولة الحسينية السائرة إلى حافة السقوط والانهيار، وإلى إعادة الروح إلى المجتمع المفكك والمشتت القوى.

. ان بايات تونس علي الرغم من تخوفاتهم في البداية الا انهم قبلوا الإصلاح في النهاية.

. أخذ التيار الإصلاحي في تونس منذ بدايته طابعا وطنيا كان هدف المصلحين الوقوف في وجه المشروع الاستعماري أي الخطر الأجنبي.

. إن تطبيق الإصلاحات في تونس تأثر ا بالإصلاحات العثمانية كان لظروف سياسية تخص الدولة العثمانية، وهو إجراء للمحافظة على التونس من الخطر الأجنبي.

. بروز النخبة المتأثرة بالغرب في تونس كان في وقت مبكر قبل الاستعمار، وساهمت النخبة في تطبيق الإصلاحات مثل خير الدين التونسي.

. من أبرز الإصلاحات السياسية التي طرأت علي البلاد التونسية هي تقنين عهد الأمان وإصدار دستور 1861.

. برز خير الدين التونسي كمصلح اجتماعي وسياسي والإداري، و أصبح زعيما لتيار الإصلاحي وأصبح رمزا لمنهجه وقد تجاوب المشير أحمد باي مع هذا التيار.

. أصبح خير الدين القطب المؤثر على الحياة السياسية والفكرية مدعوما في ذلك تعريف من أرباب القلم مثل أحمد بن أبي الضياف، وبيرم الخامس.

. محاولة الصادق باي بعد توليه الحكم القيام ببعض الإصلاحات خاصة الدستور بعد أن وجد عهد الأمان جاهزا.

. إن رموز الفساد ومناهضة مشروع الإصلاحي بتأثير السلبي في سياسية الدولة ، راجع إلى مصطفي خزندا ومصطفي بن إسماعيل الذين يبتعدون عن مراكز القرار الاولي في دولة أحمد باي وخاصة الصادق باي مما جعل قدراتهم على الاضرار والافساد لسياسة خير الدين وأنصاره.

. من أهم الإصلاحات العسكرية التي طرأت على الجيش تونسي هي:

. إنشاء مدرسة حربية بباردو 1840 في عهد أحمد باي وخلفه أيضا صادق الباي، وكذلك تنقيص من عدد الجيش وذلك سبب خزينة الدولة المرهقة.

. من بين أبرز الإصلاحات الاجتماعية هي انشاء دار الشريعة والمكتبة العبدلية.

. كما شملت الإصلاحات الاقتصادية الصناعة بأشكالها والزراعة والتجارة وذلك لإنقاذ اقتصاد البلاد التونسية باعتباره المؤثر الأول علي المجتمع.

. يعد كتاب الاتحاف لابن أبي الضياف من أهم المصادر في تاريخ الإصلاحات في تونس.

قائمة الملاحق

الملحق1[1]



أحمد بن أبي الضياف

[1] ويكيبيديا حرة

الملحق 02:[1]

وهذا القانون السياسي يستدعي زمنا لتحرير ترتيبه ، وتدوينه وتهذيبه . وأرجو الله الذي يقدر الى قلوبنا أن تستقيم به أحوال الرئاسة ، ولا يخالفه ما ورد عن السلف الصالح من اعتبار السياسة ، وأنا العبد الفقير أعجّل لمرضاة ربي ما تطمئن اليه النفوس ، وتكون منزلته في النفس منزلة المشاهد المحسوس . وتأسيسه على قواعد :

الاول : تأكيد الامان ، لسائر رعيتنا وسكان ايالتنا على اختلاف الاديان ، والالسنة والالوان ، في ابدانهم المكرّمة ، واموالهم المحرّمة ، وأعراضهم المحترمة ، الا بحق يوجبه نظر المجلس بالمشورة ويرفعه إلينا ، ولنا النظر في الإمضاء او التخفيف ما أمكن او الإذن باعادة النظر .

الثانية : تساوي الناس في اصل قانون الاداء المرتب او ما يترتب ، وان اختلف باختلاف الكمية ، بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته ، ولا يحط على الحقير لحقارته ، ويأتي بيانه موضحا .

الثالثة : التسوية بين المسلم وغيره من سكان الإيالة في استحقاق الإنصاف ، لان استحقاقه لذلك بوصف الانسانية لا بغيره من الاوصاف . والعدل في الارض هو الميزان المستوي ، يؤخذ به للمُستحِقّ من المبطل والضعيف من القوي .

الرابعة : ان الذمّي من رعيتنا لا يُجبَر على تبديل دينه ولا يمنع من إجراء ما يلزم ديانته ، ولا تُمتَهَن مجامعهم ويكون لها الامان من الاذاية والامتهان ، لان ذمّتهم تقتضي أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

الخامسة : لما كان العسكر من أسباب حفظ النوع ، ومصلحتُه تعمُّ المجموع ، ولا بدّ للانسان من زمن لتدبير عيشه والقيام على أهله ، فلا نأخذ العسكر الا بترتيب وقرعة ، ولا يبقى العسكري في الخدمة أكثر من مدة معلومة ، كما نحرره في قانون العسكر .

السادسة : ان مجلس النظر في الجنايات ، اذا كان الحكم فيه بعقوبة على أحد من أهل الذمة ، يلزم ان يحضره من نعيّنه من كبيرالهم ، تأنيسا لنفوسهم ودفعا لما يتوهمونه من الحيف ، والشريعة توصي بهم خيرا .

السابعة : ان نجعل مجلسا للتجارة برئيس وكاتب وأعضاء من المسلمين وغيرهم من رعايا احبابنا الدول للنظر في نوازل التجارات ، بعد الاتفاق مع احبابنا الدول العظام في كيفية دخول رعاياهم تحت حكم المجلس ، كما يأتي ايضاح تفصيله ، قطعا لتشعب الخصام .

الثامنة : ان سائر رعيتنا من المسلمين وغيرهم ، لهم المساواة في الامور العرفية والقوانين الحكمية ، لا فضل لاحدهم على الآخر في ذلك .

التاسعة : تسريح التجر من اختصاص أحد به ، بل يكون مباحا لكل أحد . ولا تاجر الدولة بتجارة ولا لمنع غيرها منها . ولتكون العناية باعانة عموم التجر ومنع اسباب تعطيله .

العاشرة : ان الوافدين على ايالتنا لهم ان يحترفوا سائر الصنائع والخدم ، بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتي يمكن ان تترتب ، مثل سائر اهل البلاد لا فضل لاحدهم على الآخر ، بعد انفصالنا مع دولهم في كيفية دخولهم تحت ذلك ، كما يأتي بيانه .

[1] ابن أبي الضياف ،المصدر السابق، مج 02 ،ج 4،ص242.

الملحق 03[1]

أنواع الفرق العسكرية وتوزيعها في عهد أحمد باي

I - الفرق النظامية المحدثة

نوع الفرقة وعدد أفرادها	أرقام الفرق	مكان إقامة الفرقة	لون علم الفرقة
1 - المشاة عددهم : 18900 جندي	الآلاي الأول الآلاي الثاني الآلاي الثالث الآلاي الرابع الآلاي الخامس الآلاي السادس الآلاي السابع	تونس سوسة المنستير القيروان مرافقة الباي " غار الملح	أحمر فاقع
2 - المدفعية تضم : 5800 جندي	الآلاي الأول " الثاني " الثالث " الرابع	تونس وباردو وحلق الوادي موزعة على أبراج البلاد	أحمر
3 - خيالة تضم : 1000	لواء واحد	منوبة	بنفسجي

II - الهياكل القديمة

نوع الفرقة	جنودها	الأوجاق القديمة	الأوجاق الجديدة
1 - المشاة		تونس القيروان الكاف باجة	سوسة المنستير قابس الجريد
2 - الخيالة	زواوة صبايحية : عرب وترك		

هذا الجدول من وضعنا . وانظر عن الأوجاق ، ابن ابي الضياف ، ج 4، ط 2، ص 202 .

[1] شيباني بنغليث ، المرجع السابق ، ص 51.

الملحق 4[1]



[1] أحمد الطويلي ، الصادقية ، المرجع السابق ، ص13.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القران الكريم

الاحاديث النبوية

أولا: المصادر

المذكرات

1. **مذكرات خير الدين**، تح وتم، محمد العربي السنوسي، بيت الحكمة، تونس 2008.

ب . الكتب

1- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر**، المجلد 06، ج11، دار الكتاب اللبناني ،بيروت 1985.

1. ابن أبي الضياف، أحمد، **إتحاف أهل العمل الزمان بأخبار ملوكتونس وعهد الأمان** ،مج1، ج1،طبعة الاولى،مطبعة الرسمية العربية للكتاب، تونس،1901

10. السنوسي، محمد/**الرحلة الحجازية**، تح، علي الشنوفي ،ج1،ط1، الرائد التونسية للنشر والتوزيع، 1976.

11. السنوسي، محمد بن عثمان،**مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح، تع، محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ،1994،ط1.

12. بيرم، محمد الخامس: **صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار**، تح، علي بن طاهر الشنوفي، م2، ط2، بيت الحكمة تونس 1999.

13. البغدادي إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين واثار المصنفين**، مج1،ج1، دار احياء التراث الغربي، بيروت لبنان، 1951.

14. مخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1350هـ.

15. ابن ابي الدينار أبو عبد الله محمد أبو القاسم الريعني القيرواني، **كتاب المؤنس في أخبار افريقية و تونس**، الدار التونسية، ط1، 1286هـ.

16. ابن خلدون عبد الرحمان محمد ، **مقدمة ابن خلدون**، دار الاحياء التراث العربي، ط4، بيروت، لبنان.

17. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ق794) ،**تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية** ،تح،تع، محمد مأمور، المكتبة العتيقة،ط2، تونس1966م.

18. المقريزي تقي الدين احمد بن علي (ت1442م)،**المواعظ والاعتبار بذكر الخططوالاثار، المعروف بالخطط المقريزية**،ج1، تح، محمد رينهم ،مديحة الترقوي، مكتبة مديولي،ط1، القاهرة– مصر، 1998م.

19. النيفر الشيخ محمد (ت 1418هـ)، **عيوب الاريب عما نشا بالمملكة التونسية من عالم اديب**،. ج2،ط1، تونس 1351هـ.

3. ابن أبي الضياف، أحمد،**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج2، ج3، تح، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية الدار العربي للكتاب .

30. القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام المذهب المالك**، ج1، تح: أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

31. أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد أبو بكر بن خلكان، **وفيات الاعيان وانباءأبناء الزمان**، م3، وتح، احسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

4. ابن ابي الضياف، احمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج2،ج2، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب.

6. ابن ابي الضياف، احمد: **إتحافلأهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج6، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ،الدار العربية للكتاب.

7. ابن ابي الضياف، احمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج4،ج8، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية.

8. التونسي خير الدين: **اقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تج، منصف الشنوفي، ط2،الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.

9. التونسي خير الدين: **اقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تق، محمد الحداد، دار الكتاب المصري، القاهرة.

ابن أبي الضياف،أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوكتونس وعهد الأمان**، ج1،ج2، تح، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية الدار العربية للكتاب.

المراجع

2- إسماعيل احمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج2، ط1، دار المريخ للنشر، الرياض 1993.

20. الحبيب، تامر: **هذه تونس**، مطبعة الرسالة، مكتب المغرب العربي.

21. محمد محفوظ ،**اتراجم المؤلفين التونسين**،ج1، ج2،ج3، ج4،دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان 1404هـ/1984.

22. مروم بك خليل، **اعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع**، لجنة التراث العربي،ط1، بيروت، لبنان، 1971.

23. التيمومي الهادي، **تونس والتحديث (1877/1832) اول دستور في العالمالإسلامي**، دار محمد علي لنشر ،تونس، 2010م.

24. الشيباني بن بلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882م)**،تق: عبد الجليل التميمي، فتورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، صفاقس و تونس،1995م.

25. عبد السلام احمد، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، الشركة التونسية للتوزيع،ط1/ تونس، 1986م.

26. الذوادي زهير، **الاستعمار وتأسيس الحركة الإصلاحية الوطنية التونسية**، ط1 الاطلعية للنشر،2006.

27. امين احمد،**زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دار الكتاب العربي، لبنان .

28. أبو حمدان سمير، **خير الدين التونسي، أبو النهضة التونسية**، شركة العالمية للكتاب دار الكتاب العالمي، بيروت، 1993.

29. غلاب عبد الكريم،**قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر**،ج3، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،2005.

3- احمد الطويلي، **الصادقية خير الدين مؤسسا ومحمدالعربي زروق مديرا**، تق: فؤاد مبزع.

4- طويل أحمد، بناة الدولة التونسية الحديثة– حمودة باشا وأحمد باي وخير الدين، ط1، المغاربية الطباعة واشهار الكتاب، تونس 2019.ضوي"، دنيا الوطن، 21-05-2010.

المراجع الأجنبية:

1. jean , conige J la crisdes2fuances tunisiennes et l'acensai des juifs de lunis /1860J1880) intervue a fnicaine 1995p170.

الرسائل الجامعية:

الامام رشاد، **سياسة حمودة باشا في تونس(1782-1814)**،رسالة دكتوراه في الفلسفة، الجامعة الامريكية، بيروت

المقالات:

1- رزيقة محمدي، **إصلاحات اقتصادية بإيالةتونس في عهد حمودة باشا 1782، كلية التربية الأساسية والعلوم التربوية والإنسانية**، جامعة الجزائر2، 2016،ع3.

2- دوحةعبدالقادر،**الإصلاحات الثقافية والعلمية لخير الدين التونسيفي منتصف القرن19، وعلاقتها بالحضارة الغربية**، جامعة خميس مليان، ع8

4- حفيظة بو توفماس، **النشاط التجاري للمجتمع التونسي خلال العهد الحسيني(1117-1246ه) (1705- 1830)** ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.

6- رجب رضا ،**عبد الحميد الافرش يهود البلاط ويهود المال بتونس** العثمانية (1685-1857)، ط1، دار المدار الإسلامي، 2010.

7- جندي أحمد، **محنة النهضة ولغز التاريخ في الفكر العربي الحديث والمعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت لبنان 2005م.

8- جوهر محمد حسن، **تونس شعوب العالم** –دار المعارف مصر 1961 .

9- الشريف محمد الهادي ،**تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال** ،تع، محمد شاوش محمد عجينة، ط3، دار سراس تونس 1993.

الإصلاحات السياسية والإدارية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19، وعلاقتها بالحضارة الغربية، عصور الجديدة ع 11-12 1834-1435/2014-2015، جامعة وهران.

الندوات:

1- التيومي الهادي، واقع الندوة التي انتظمت بيت الحكمة (4 ماي 2010) المجتمع التونسي للعلوم والادب والفنون، بيت الحكمة قرطاج 2011.

الدوريات:

1- الشريف محمد الهادي،**مشكلة الإصلاحات التونسية وارتباطها بمسالة العلاقات التونسية العثمانية 1840، في الإصلاح والمجتمع**المغربي في القرن 19.

الفهـــرس

الفهرس:

العنوان	الصفحة
بسملة	
شكر و تقدير	
إهداء	
قائمة المختصرات	
المقدمـة	أ
المبحث التمهيدي **الوضع العام في البلاد التونسية خلال الفترة الحسينية.**	
– المطلب الأول: الأوضاع السياسية و الاقتصادية	7
– المطلب الثني : الأوضاع الاجتماعية و الثقافية.	13
المبحث الأول: **ابن أبي الضياف وكتابه إتحاف أهل الزمان.**	
المطلب الأول: التعريف بأبي الضياف.	19
المطلب الثاني: دراسة كتاب إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان.	29
المبحث الثاني **الإصلاحات السياسية والعسكرية**	
المطلب الاول: الاصلاحات في الميدان السياسي والاداري.	44
المطلب الثاني: الإصلاحات في الميدان العسكري	55
المبحث الثالث: **الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية.**	
المطلب الأول: اصلاحات في الميدان الاجتماعي.	63
المطلب الثاني: الإصلاحات الاقتصادية.	73

خاتمـة	83
قائمة الملاحق	86
قائمة المصادر والمراجع	91
الفهـرس	98
العنوان	**الصفحة**
بسملة	
شكر و تقدير	
إهداء	
قائمة المختصرات	
المقدمـة	
المبحث التمهيدي **الوضع العام في البلاد التونسية خلال الفترة الحسينية.**	
– المطلب الأول: الأوضاع السياسية و الاقتصادية	
– المطلب الثني : الأوضاع الاجتماعية و الثقافية.	
المبحث الأول: **ابن أبي الضياف وكتابه إتحاف أهل الزمان.**	
المطلب الأول: التعريف بأبي الضياف.	
المطلب الثاني: دراسة كتاب إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان.	
المبحث الثاني **الإصلاحات السياسية والعسكرية**	
المطلب الاول: الاصلاحات في الميدان السياسي والاداري.	
المطلب الثاني: الإصلاحات في الميدان العسكري	
المبحث الثالث: **الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية.**	

المطلب الأول: اصلاحات في الميدان الاجتماعي.	
المطلب الثاني: الإصلاحات الاقتصادية.	
خاتمـة	
قائمة الملاحق	
قائمة المصادر والمراجع	
الفهـرس	